وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح – ورقلة –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

ديك الجنّ الحمصي، دراسة في حياته و شعره

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي القديم.

إعداد الطالب:

مراد بن فردية

إشراف الدكتور:

أحمد التجاني سي كبير

لـجـنــة المـنــاقـشــة

أ.د عبد الحميد هيمة	جامعة قاصدي مرباح	رئيسا
أ.د أحمد التجاني سي كبير	جامعة قاصدي مرباح	مقررا ومشرفا
أ.د علـي حمودين	جامعة قاصدي مرباح	مناقشا

الموسم الجامعي: 2017 م / 2018 م ــ 1438هـ/1439 هـ

الإهداء

إلى الأرواح الزكية الطاهرة، روح "أبي" و "أمي"، و روح أخي "النّذير"(الساسي)، وروح ملاكي الصغير ابنتي "أريج"، جواهر تتلألأ في عالم الملكوت الأعلى.

إلى ريحانتيّ في هذه الدنيا، ابنتيّ العزيزتين "نهاد الأنوار" و "فاطمة"(مَيْ).

إلى رفيقة دربي في هذه الحياة، و شريكتي في بناء عائلتي، "زوجتي" العزيزة.

إلى العائلة الكريمة، إخوتي و أخواتي، وأبنائهم وبناتهم كلّ باسمه، وأخُصُّ بالذّكر "سوسن".

إلى كلّ إنسان يحمل في نفسه قيم الحُرّية و الإنسانية و الفكر الحُر.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا.

شُكر وعرفان

بعد حمد الله والثّناء عليه،

أتقدم بالشّكر الجزيل والثّناء الأصيل إلى الأستاذ الدكتور أحمد التجاني سي كبير ، على قبوله الإشراف على هذه الدراسة، ثُمّ على ما بذله من جهد في إسداء التوجيهات و النصائح المنهجية و العلمية لأجل إخراج هذا العمل في أفضل شكل ممكن.

و أتقدم بالشّكر إلى كُلّ من ساهم من قريب أو من بعيد، في مساعدتنا على إنجاز هذا العمل، ليكتمل و يصير على الوجه الذي صار عليه.

فــهــرس المــحـتـويــات

الإهداء	أ
شُكر وعرفان	ب
فهرس المحتويات	ج
المُقدّمة	1
***الفصل الأول : ترجمة ديك الجنّ و عصره**	
-أولاً : عصر ديك الجنّ.	4
أ-الحياة السياسية.	5
ب- الحياة الاجتماعية.	6
ج-الحياة الثقافية والعلمية.	7
-ثانياً : إسمه و لقبه ومولده.	9
-ثالثاً : مدينته التي عاش فيها(حمص).	12
-رابعاً : حياته.	14
-خامساً : ديك الجنّ و مأساته في كتب التُراث.	17
-سادساً : مصادر ثقافته وفنّه.	24

-سابعاً : ولاؤه السياسي و الدّيني.	27
-ثامناً : ديك الجنّ وعلاقته بشُعراء عصره.	29
-تاسعاً : آراء أعلام الأدب والنقد في ديك الجنّ وشعره.	33
-عاشراً : ديوان ديك الجنّ الحمصي.	36
***الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجن.**	
-أولاً : الرّثاء.	40
1-رثاؤه أهل البيت.	40
2-رثاؤه زوجته ورد.	46
3-رثاؤه جعفر بن علي الهاشمي.	51
4-رثاؤه ولده.	54
-ثانياً : المدح.	58
1-مدح أهل البيت.	58
2-مدح أحمد بن علي الهاشمي.	62
-ثالثاً : الهجاء.	65
1-هجاؤه أهل حمص.	65
2-هجاؤه ابن عمّه.	67

-رابعاً : الفخر.	72
1-فخره بقبيلته كلب.	72
2-فخره بنفسه.	74
-خامساً : الغزل.	77
1-التغزل بالمؤنث.	77
2-التغزل بالمُذكّر.	80
-سادساً : شعر الخمرة.	84
-سابعاً : الوصف.	90
-ثامناً : الحكمة.	93
الخاتمة	95
قائمة المصادر و المراجع	98
الملخّص	101

المـقــدمـــــــة

المُقدّمة :

يُعدُّ تُراثنا الأدبي واللغوي والنقدي القديم، ثرياً بالأعلام والأعمال التي أغنت هذا التاريخ العلمي العظيم. وقد حظي الكثير من أعلامه بالدراسة والاهتمام، بل منهم من أُشبع دراسةً وبحثاً من قبل الدّارسين و المهتمّين بقضايا النّقد والأدب، سواء في القديم أو في وقتنا الحالي. لكن بقي الكثير من هؤلاء الأعلام بعيداً عن حقل الدراسة والبحث والاهتمام، و موضوع بحثنا في هذه الدراسة يُحاول أن يكشف النّقاب عن واحدٍ منهم، ألا وهو الشاعر العباسي الكبير"أبو محمد عبد السلام بن رغبان" المُلقّب بـ "ديك الجنّ الحمصي".

وبناءً على ما سبق ذكره فقد وسمنا هذا البحث بـ"ديك الجنّ الحمصي، دراسة في حياته وشعره"، حيث تنبع أهمّيته في كونه إعادة بعث و تعريف بهذا الشاعر و فنّه، فتناول حياته و ما يتعلق بها، وشعره من حيث الموضوعات والأغراض.

ويعود سبب اختياري لهذا الموضوع، إلى كون الشاعر لم يحظ بالدراسة الكافية فعمدت إلى التوجه لفعل ذلك ، ثُمّ لما عرفتُ أنّه كان شاعراً مشهوراً في زمانه و فيما مضى من الزمن القديم، حيث كان يُعرف عند النُّقّاد و أهل الأدب بـ"شاعر الشام" و لا يُطلق هذا اللقب إلا أُريد به ديك الجنّ، استغربتُ لخُمول ذكره وعدم تناول شعره في المقررات والمناهج الرسمية في وقتنا الحالي، فأحببتُ أن أكون سبباً في محاولة لردّ الاعتبار له.

أما إشكالية البحث فتكمن في التّعالق بين حياة الشاعر وأحداثها، مع فنونه وأغراضه الشعرية، لتتبلور في السؤال التالي: "كيف أثرت الصراعات والمآسي التي تعرّض لها ديك الجنّ في حياته الخاصة، على حياته الفنيّة والأدبية؟ وما مدى صحة الأحكام المعروفة عنه و المنعكسة من خلال القراءة الأولية لشعره؟ وهل تعكس حياته وأخلاقه بوجه كامل؟". كما أنّ هناك سؤال مهم ينبغي الإجابة عليه، وهو:"ما الذي جعل ديك الجنّ الحمصي وشعره، خامل الذكر في زمننا، بعد أنْ كان معروفاً مشهوراً قديماً؟ ".

المـقــدمـــــــة

وفيما يتعلق بالدراسات التي اهتمت بـ"ديك الجنّ" فنذكر رغم قلّتها "دراسات في الهجاء السياسي عند شُعراء الشيعة" لعبد الغني ايرواني زاده و جمال طالبي، وكذلك "ديك الجنّ الحمصي عبد السلام بن رغبان، عصره وحياته وفنونه الشعريّة " لحسن جعفر نور الدين، ونذكر أيضاً "اتجاهات الرّثاء في القرن الثلث الهجري، من خلال أعلامه" لروضة المُحمّـد. أما المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها، فمتنوعة متعددة على حسب خدمتها للموضوع، وتشمل كتب تاريخ الأدب وكتب التراجم والأعلام، وكتب التاريخ وغيرها،كالأغاني لأبي الفرج الأصفهاني،و وفيات الأعيان لابن خلّكان، و تاريخ دمشق لابن عساكر، وغيرها فضلاً عن أساس هذه الدراسة وعمادها "ديوان ديك الجنّ الحمصي" .

و بخصوص المنهج المتّبع في هذه الدراسة، فهو المنهج التاريخي مع الاستعانة بآليتي الوصف والتحليل. وهذا ما رأيناه مناسباً لدراسة تتعلّق بسيرة حياة شاعر و تُراثه الفنّي، لأجل تمييز موضوعات شعره و دراسة قصائده.

أمّا هيكل الدراسة فيتكوّن من مقدّمة و فصلين وخاتمة، الفصل الأول تناولتُ فيه ترجمة لعصر الشاعر وحياته، فتعرضت للحياة السياسية والاجتماعية والثّقافية العلمية للعصر العباسي، كما تعرضت للتعريف بالشاعر من خلال اسمه ولقبه ومولده، ومأساته في كُتُب التُّراث ومصادر ثقافته وعلمه، وعلاقته بشُعراء عصره، و آراء النّقاد والأدباء فيه وفي شعره، وديوانه وكيف جُمع وطُبع. أما الفصل الثاني فسلّطتُ الضوء فيه على الموضوعات و الأغراض الشعرية التي تناولها ونظم فيها، مع التمثيل لكل موضوع وغرض ، ومحاولة شرح هذه النّماذج وتبيين مكامن التّميُّز في بعضها من حيث بنائها ومعانيها و صورها الشعرية . أما الخاتمة فلخّصتُ فيها أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال هذه الدّراسة.

وتُعتبر حياة ديك الجنّ وشعره، أرضاً بكراً للدّراسة والبحث لمن كان راغباً من الدّارسين في آفاق مواضيع جديدة. وما هذه الدراسة إلا مُحاولة مُتواضعة لتسليط الضوء و الكشف على حياة وفنّ هذا الشاعر الفحل الذي لم يُعطَ حقّه في التناول والدّراسة.

الفصل الأول

ترجمة ديك الجن وعصره

-أولاً:عصر ديك الجنّ.

-ثانياً: إسمه و لقبه ومولده.

-ثالثاً:مدينته التي عاش فيها(حمص).

-رابعاً:حياته.

-خامساً:ديك الجنّ و مأساته في كتب التُراث.

-سادساً:مصادر ثقافته وفنّه.

-سابعاً:ولاؤه السياسي و الدّيني.

-ثامناً:ديك الجنّ وعلاقته بشُعراء عصره.

-تاسعاً:آراء أعلام الأدب والنقد في ديك الجنّ وشعره.

-عاشراً:ديوان ديك الجنّ الحمصي.

الفصل الأول : ترجمة ديك الجنّ و عصره

*أولاً: عصر ديك الجن:

يعتبر العصر العباسي من أزهى عصور الحضارة الإسلامية، فقد كان من أخصب عصورها إنتاجاً، على مختلف الصعد السياسية و المعرفية و الثقافية و الأدبية والفنية، حيث دام هذا العصر أكثر من خمسة قرون. وقسمه دارسوا التاريخ الأدبي إلى عصرين رئيسيين، يمتد الأول من بداية قيام الخلافة العباسية سنة 132هـ على يد "أبي العباس السفاح"، وينتهي سنة 232هـ حيث تكون نهاية عهد الخليفة العباسي "الواثق". أما العصر العباسي الثاني فيمتد من سنة 232هـ إلى سقوط الخلافة العباسية سنة 656هـ.

(ويرى بعض مؤرخي الأدب، أن العصر الثاني يمثل مرحلتين متميزتين: الأولى حين كانت السلطة مركزة في يد الخلفاء، و الثانية حين ضعفت هذه السلطة، وانتزعها حكام الأقاليم والولايات المستقلة، إستقلالاً ذاتياً أو حقيقياً)[1]

إذن فللعصر العباسي كامل الحضوة والأهمية، نظراً لما تميز به من نقلة نوعية في مختلف الميادين الحياتية العامة. حيث استعار العباسيون نظم الحكم من الحضارة الفارسية في السياسة، كاستعمال الوزارة، وإنشاء الدواوين في مختلف أجهزة الدولة، وابتداء الحركة العملية المنظمة و المؤطرة للترجمة. حيث تُرجمت مختلف الثقافات الإنسانية السابقة، كالثقافة الفارسية والهندية واليونانية، فنُقلت كتب الطب والفلسفة والفلك والرياضيات والموسيقى وغيرها إلى اللغة العربية، وكل هذا بتشجيع من الخلفاء. كما شهدت الحياة الاجتماعية تغييراً كبيراً في نمط العيش، وتبني قيم أخلاقية واجتماعية جديدة بسبب الإنفتاح الكبير على الأمم الأخرى، والذي أثر على كل شيء. فشهد المجتمع حينها نزوحاً كبيراً للناس من البادية إلى القرى والمدن.

---

1 حامد صادق قنيبي وسامي أبو زيد، محاضرات في الأدب العباسي(الشعر) دراسة ونصوص، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع،عمان الأردن،2006، ص9.

الفصل الأول : ترجمة ديك الجنّ و عصره

أ-الحياة السياسية:-

بعد دعوة سرية دامت أكثر من خمسة عشر سنة، ظاهرها الرضا من آل محمد، واسترداد حقهم في الخلافة، وباطنها أخذ البيعة للعباسيين. إستطاع هؤلاء أن يقيموا دولتهم عن طريق الإستعانة بالجيوش الخراسانية الفارسية، ويأخذوا الشرعية بعد أحداث متداخلة ومعقدة، مما سهل قبولهم لدى عامة المسلمين. ليقوموا بعد ذلك بنقل عاصمة الخلافة من دمشق إلى الكوفة الموطن القديم للشيعة ومكان أخذ بيعتهم. ثم تم تحويلها مرة ثانية في عهد "أبو جعفر المنصور" إلى بغداد، فصار يؤُمّها الناس من كل حدب و صوب، وبذلك اصطبغ العصر العباسي بالصبغة الفارسية و خاصة في بداياته، حيث نجد (... النظم السّاسانية تنتقل بحذافيرها في كل شؤون الحكم، وكأنما أصبح الخليفة العباسي ملكاً ساسانياً، فهو يحكم حكماً مطلقاً، وهو حكم ينتقل بالوراثة ويطبعه الدين، كما كان يطبع الحكم السّاساني. إذ كان السّاسانيون يعدون أنفسهم رؤساء للدين، وحماة له وحراساً.)[1]

ففي أغلب تاريخ الدولة الإسلامية كان السلطان أو الخليفة يتخذ من الدين مطية لشرعنة حكمه وبقائه على عرشه وكرسيه. ويمكننا أن نرى ذلك حتى في عصرنا الحالي، وخاصة في بعض الممالك و السلطنات.

(واتسع الخلفاء في محاكاة الدواوين الساسانية، وكان في كل ولاية ديوان للخراج يقوم عليه موظف كبير ينفق منه على الولاية، ويرسل ما تبقى من الأموال إلى بغداد, حيث كان بها لكل ولاية ديوان خاص. ويسمى مجموع هذه الدواوين باسم ديوان الزمام أو بيت المال)[2]

وهكذا فإنه كان لكل شأن أو هيئة في الدولة ديوان خاص بها حيث (كان لدار الخلافة ديوان خاص يقوم على نفقاتها، ومن أهم الدواوين ديوان الرسائل الذي لعب دوراً

1شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط8، القاهرة،ص20.

2المرجع نفسه، ص21.

خطيراً في نهضة النثر العربي، وكانت تصدر عنه رسائل الخلفاء وكان بجواره ديوان الخاتم الذي تختم فيه تلك الرسائل بعد مراجعتها. وديوان التوقيع وهو خاص بالنظر في المظالم ورقاع أصحاب الشكوى وكانوا يسمونها باسم القصص، وكان من عادة ملوك الفرس ووزرائهم أن يوقعوا عليها بعبارات موجزة بليغة، فجاراهم خلفاء بني العباس ووزرائهم في هذا الصنيع)[1]

ب-الحياة الإجتماعية:-

كان المجتمع في الدولة العباسية مكون من مزيج من الأجناس و الأعراق والطوائف. حيث كان العرب والفرس والروم والأتراك والزنوج وغيرهم من بعض الأقليات الإثنية الأخرى تشكل نسيجاً اجتماعياً فسيفسائياً مميزاً، وعرف عن كل جنس طبائع وعادات وأخلاق مميزة له عن الآخر. وكان هذا التنوع العرقي نتيجة لكثرة الفتوح وبالتالي كثرة الجواري والغلمان في القصور والدور و أسواق النخاسة والعبيد.

كما كانت الحياة الاقتصادية والمعيشية متمايزة بين الخاصة والعامة، فالثروة والنفوذ في يد الخاصة من الناس وهو ما يستدعي نمطاً مميزاً في الحياة ، نمط مرتبط باللهو و الترف و المغالاة في البنيان والمظاهر. ولعل أجلى مثال على هذا ما فعله الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة والتجارة من إنفاق على بناء القصور و الدور الفخمة، و هو ما فعله المعتصم والمتوكل و المعتضد و المكتفي، حتى أن بعض الشعراء خلّد أسماء تلك القصور شعراً(و في تهنئة المعتضد بقصر الثريا نظم ابن المعتز قصيدته:-

سلمت أمير المؤمنين على الدهر * ولازلت فينا باقياً واسع العمرِ

حللت الثريا خير دار ومنزل * فلا زال معموراً وبورك من قصرِ

1المرجع السابق، ص 21،22.

فليس له فيما بنى الناس مشبه * ولا ببناء الجن في سالف الدهرِ)[1]

وبذلك كانت حياة البذخ و النعيم نصيب عدد قليل من الناس، في حين كان للعامة نصيب الفقر والكدح والبؤس وهم النسبة الأكبر من الناس. وهنا تتجلى الهوة الشاسعة بين الطبقتين، وهو ما انعكس في ردود أفعال مجتمعية تجلت في ظهور كثير من الثورات الرافضة لهذا النمط من الحياة و هذا التجبر والاستعباد. كثورة الزنج التي كانت في أساسها ثورة اجتماعية مطالبة بالمساواة و حقوق طبقة مقموعة في المجتمع رغم كل ما يقال عنها، حيث أنها لم تحض بنصيب وافر من الدراسة الموضوعية المتأنية، وكان رأس هذه الدعوة رجل يسمى " علي بن محمد " قيل أن له نسباً بالبيت النبوي.

ج-الحياة الثقافية و العلمية:-

كان للتنوع الاجتماعي، والاضطراب السياسي كبير الأثر على الحياة العلمية والثقافية في العصر العباسي، حيث أفرز هذا إتجاهات فكرية وفلسفية ودينية متعددة و متضاربة، وهو ما نتج عنه فرق كلامية و مذهبية فقهية كثيرة. وصارت كل فرقة أو مذهب ينافح عن عقيدته و رأيه في مناظرات وحلقات أثْرَت الحياة العقلية والثقافية كثيراً. فظهرت المذاهب الفقهية والكلامية كالمعتزلة والأحناف والمالكية وغيرهم.

أما في الجانب اللغوي فقد ظهرت مدرستان، مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة، وتم جمع اللغة العربية و أشعارها على يد علماء هاتين المدرستين، واشترطوا على أنفسهم أثناء الجمع ألا يأخذوا اللغة من عربي حضري، وأن يشدوا الرحال في طلبها إلى البادية و شبه الجزيرة العربية، حيث معينها الصافي الذي لم تكدره الحضارة الحديثة.وكان لكل مدرسة أعلام؛ فعلماء البصرة اشتهر فيهم "أبو عمرو بن العلاء" وقد نعته "الجاحظ" بأنه أعلم الناس

1محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، ط1، 2001، الإسكندرية، ص23.

بالعربية والغريب والشعر والقرآن وأيام العرب. كما اشتهر من البصرة كذلك "خلف الأحمر" و"عبد الملك بن قريب الأصمعي" و"محمد بن سلام الجمحي".

أما في الكوفة فقد لمع نجم " حماد الراوية " وكان عالما بالشعر وعلى دراية بكل ما يتعلق به. و" أبو عمر الشيباني " حيث قيل أنه دخل البادية ومعه إناءان من حبر، فلما خرج منها كانا قد نفدا ولم يبق منهما شيء. كما عرف في الكوفة " أبوعبيد القاسم بن سلام " وكان لغويا بارعاً.

أما في التاريخ، فقد عُرفت طائفة من المؤرخين الذين كتبوا في السيرة النبوية وتاريخ الدولة الإسلامية وما وقع فيها من أحداث، لعل من بين أشهرهم "محمد بن إسحاق" و"محمد بن عمر الواقدي" و"محمد بن سعد" تلميذه، و "أبو مخنف لوط بن يحي" و "هشام بن محمد الكلبي" و" المدائني". (و إلى جانب ذلك أخذت تؤلف في هذا العصر كتب الرجال الذين حملوا الحديث النبوي من صحابة وتابعين، على غرار كتاب " الطبقات الكبرى " لـ "ابن سعد"، و مثله كتاب " معرفة الرجال " لـ " يحي بن معين " المتوفى سنة 223 هـ)[1]

كما كانت من أهم أسباب التطور المعرفي و العلمي، والتنوع الحاصل فيهما؛ حركة الترجمة التي شجعها الخلفاء وبذلوا وأغدقوا على المترجمين إلى العربية الكثير من العطايا و الأموال. فترجموا الثقافات والكتب الهندية والفارسية واليونانية والسريانية؛ ونقلوا الطب والفلسفة والفلك والتنجيم والملاحم والموسيقى، وغير ذلك من ميادين المعرفة الإنسانية التي أفادوا منها وشرحوها، وأبدعوا فيها أشياء جديدة لم يُسبقوا إليها. فكان " الفارابي " و" ابن سينا " و " الكندي " و " جابر بن حيان " و " عبد الله بن المقفع " وغيرهم سُرُجاً تُضيءُ عالم المعرفة في حياة الدولة.

[1] حسن جعفر نور الدين، ديك الجنّ الحمصي عبد السلام بن رغبان عصره وحيات وفنونه الشعرية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص25.

*ثانياً: إسمه ولقبه ومولده:-

تَجمع المصادر وتتفق على إسم شاعرنا، لكنها تختلف في كونه عربياً أو ليس بعربي. ولعل هذا الإختلاف ناشئٌ من بعض الأقوال التي وردت عنه، فُهم منها أنه ليس بالعربي. لكن لم يرد تصريح منه مطلقا بهذا المعنى، كما فهم عن هذا الزعم الخاطئ أشياء أخرى رُمي بها شاعرنا كاتهامه بالشعوبية.

هو(أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن يزيد بن تميم الكلبي، الملقب بديك الجن الحمصي. أصله من سَلَمية ومولده بمدينة حمص سنة 161 هـ. وتميم أول من أسلم من أجداده، وكان جده حبيباً يتقلد العطاء لأبي جعفر المنصور)[1]

يقول " أبو الفرج الأصفهاني " (ديك الجن لقب غلب عليه، وإسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن يزيد بن تميم. وكان جده تميم ممن أنعم الله-عز وجل- عليه بالإسلام من أهل مؤتة على يدي حبيب بن مسلمة الفهري.)[2]

أما لقبه المعروف به وهو " ديك الجن "، فقد وردت حكايات وقصص عديدة في سبب هذا اللقب، نوردها فيما يلي:-

1-هو أنه كان معتاداً على الخروج إلى البساتين في حمص والشراب فيها؛ فشبه " بديك الجن " لعادته هذه، حيث يذكر " الدميري " ناقلاً عن " القزويني " : (دويبة توجد في البساتين إذا أُلقيت في خمر عتيق حتى تموت، وتُترك في محارة وتسد رأسها، وتدفن في وسط الدار؛ فإنهُ لا يُوجد فيها شيءً من الأرضة)[3]

1حسن جعفر نور الدين، المرجع السابق، ص35.

2أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج14، مطبعة دار الكتب، القاهرة، مصر، ص51.

3كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، المكتبة الإسلامية، بيروت، لُبنان ،ص488.

2-السبب الثاني، أن عينا عبد السلام كانتا خضراوين، فلذلك لقب بديك الجن(وهذا ما ذكر في مصادر قديمة، كتاريخ دمشق لابن عساكر، ثم في أعلام الزركلي فيما بعد)[1]

3-قيل أنه سمي بديك الجن، لأنه ذكر وصف الديك في شعره، ومنذ ذلك الوقت أطلق عليه لقب ديك الجن.

4-وقد قيل(تقليده صوت الديك، كما جاء في كتاب "نفحة اليمن" لأحمد بن محمد الشرواني، وهذا السبب ساقط لاختلاقه قصة جنون الشاعر)[2]

5-وكذلك قد(قال الثعالبي النيسابوري عن ديك الجن: يُضربُ مثلا للديك النجيب الحاذق الكثير السفاد، ومنه سمي ديك الجن الشاعر المشهور)[3]

كانت هذه هي أهم الأسباب المذكورة في كتب التراث، والتي تحاول أن سببا لإطلاق لقب ديك الجن على شاعرنا، لكن لم يقع إجماعاً على سبب معين من طرف الرواة. غير أن الراجح عندي، وربما يكون الأقرب إلى الواقع و المنطق، هو السبب الأول المقترن بتشبيهه بتلك الدويبة التي توجد في البساتين، حيث تُلقى في خمر عتيق لتموت فيه. فمناسبة الشبه بينهما أقرب إلى الواقع، فالشاعر "ديك الجن" كان من الجوالين في بساتين حمص و ما جاورها، ومن العاشقين للتجوال في الطبيعة، كما أنه من المولعين بشرب الخمر ومعاقرتها.

أما أسرة ديك الجن فلا تذكر كتب الأدب عنها الشيء الكثير، سواءً أبوه "رغبان" أو جده "عبد السلام" . لذلك فالأخبار عنها قليلة. إلا أننا(نتعرف إلى أبي وهب الحمصي، وهو ابن أخ لديك الجن، وكان من المشتغلين بالأدب، كما كان من المتتبعين لأخبار عمه حافظاً لشعره و قصصه ومغامراته. وقد غدا أبو وهب هذا المصدر الرئيس لأخبار عمه ديك الجن، واعتمد عليه محمد بن الطاهر في تدوين حياة الشاعر وشعره، في كتاب كان معروفاً

1أنطوان محسن القوال، ديوان ديك الجن الحمصي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2004، ص10.
2مظهر رشيد الحجي، ديك الجن الحمصي، دار طلاس، دمشق سوريا، 1979، ص23.
3حسن جعفر نور الدين، المصدر السابق، ص36.

لمعاصريه ولاحقيه.وقد اعتمد أبو الفرج إعتماداً تاماً على هذا الكتاب عندما دون أخبار الشاعر في الأغاني)[1] ثم إنه بعد تقادم الزمان ضاعت أخبار الشاعر وقصصه بعد ضياع مثل هذه الكتب التي اهتمت بسيرته في حياته، وفي زمن قريب بعده، فضاع بذلك خير كثير من تاريخ أدبنا العربي القديم.

ثم إننا بعد ذلك(وباستثناء زوجته "ورد" فإننا لا نعرف الكثير عن أسرة الشاعر الصغيرة، زوجته أو زوجاته و أولاده. لقد تزوج ديك الجن وأنجب، وكان يكنى "أبا محمد" ثم فُجع بابنه "رغبان" فبكاه قائلا:

بأبي نبذتك في العراء المقفر * وسترت وجهك بالتراب الأعفر

بأبي بذلتك بعد صون للبلى * ورجعت عنك صبرت أم لم أصبر

لو كنت أقدر أن أرى أثر البلى * لتركتُ وجهك ضاحياً لم يقبر

ولكننا لا ندري بعد ذلك عن عقبه شيئاً.)[2]

و كانت وفاته سنة 235هـ.

*ثالثاً: بلدته التي عاش فيها(حمص):

تعتبر حمص ثالث مدينة سورية من حيث عدد السكان والأهمية بعد دمشق وحلب. (وهي تقع وسط سورية المعاصرة، وتحتل منبسطاً من الأرض ينحدر من الشرق إلى الغرب،

1مظهر رشيد الحجي، ديوان ديك الجن الحمصي عبد السلام بن رغبان، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004، ص23.

2المصدر نفسه، الصفحة 24.

لينتهي عند أقدام نهر العاصي. وتحاصر بادية الشام خاصرتها الشرقية، ويحاصر الوعر خاصرتها الغربية، فيضفي عليها ذلك الحصار شيئاً من التجهم. ولك هذا التجهم لايلبث أن يتبدد حينما يدور الزمان دورته كل عام ويحل الربيع، فيستحيل الوعر بساطاً من الأزهار ، وتستحيل البادية مروجاً خضراء. وما بين الوعر والبادية ينساب نهر العاصي رزيناً هادئاً، فيمر بحمص على بضع مئات من الأمتار من خاصرتها الغربية، وتستحيل الأرض من حوله غياضاً و بساتينا وآجاماً من الصفصاف والأشجار المثمرة. وإلى هذه الغياض والبساتين كان أهل حمص وما زالوا يخرجون إلى التنزه والسمر على ضفاف العاصي. ولعل أشهر متنزهاتها اليوم متنزه "ديك الجن" الذي أقيم على العاصي، في المكان الذي أثر عن عبد السلام أنه كان مولعاً بالخروج إليه.

إن حمص في طبيعتها ومناخها تشكل عالماً فريداً، وهو مزيج من قسوة البادية وتجهم الوعر، وبشاشة الماء والخضرة. ويبدو أن انسياحها سهولاً فسيحة خضراء قد أكسب أهلها سماحة ولياناً ودماثةً في الخُلق، كما أكسبهم تجهم الوعر وقسوة البادية عُنفاً كامناً قابلاً للإنفجار، فكان العنف والدماثة وجهين متقابلين أبدا)[1]

فحمص مدينة تتنوع في طبيعتها بين الوعورة والسهولة، وهو ما انعكس على طباع سكانها، حيث تجلت في طباعهم الخُلقية و ميزاتهم النفسية.

أما تاريخ مدينة حمص فموغل في القدم، سكنها سكنها الإنسان الحجري منذ خمسين ألف عام قبل الميلاد، وتعاقب على سكنها الأموريون والحثّيون والفينيقيون والآراميون واليونان والرومان والعرب والأتراك. كما ورد ذكر حمص في التوراة أكثر من مرة، وقرب حمص وقعت معركة "قادش" التي انتصر فيها رمسيس الثاني المصري على الحثيين، وعندها هزم "أورليان" الملكة "زنوبيا" سنة 272م. وأصيبت حمص بزلزالين مدمرين سنتي 1127م و 1307م. وفي عام 80 ق م ظفرت حمص باستقلال إداري حُكمت خلاله من

1المصدر السابق، ص24،25.

الفصل الأول : ترجمة ديك الجنّ و عصره

قبل ملوكها المحليين من أسرة "سمسيغرام" من 80 ق م إلى 79م الذين بلغت حمص في عهدهم أوج الإزدهار. ثم عادت حمص ودخلت تحت الحكم الروماني .

واستقلت أسرة "السميدع" العربية في "تدمر"، وحكمت سورية أيام "أذينة الثاني" (225م–226م) وزوجته "زنوبيا" الملكة العربية المعروفة.

ثم حكم حمص الغساسنة العرب برعاية البيزنطيين، وعرفت حمص في عهد الخلفاء الراشدين شأناً عظيماً،حيث كان فتح حمص في عهد "عمر بن الخطاب".

وبقي لحمص مركزها المرموق طيلة عهد الأمويين ومطلع عهد العباسيين، ثم انحطت مكانتها السياسية، لأنها كانت بين آونة وأخرى تعلن العصيان وتشعل الثورات ضد العباسيين وولاتهم، فلا تحصد إلا الخراب والدمار.

الفصل الأول : ترجمة ديك الجنّ و عصره

*رابعاً: حياته :

كانت حياة "ديك الجن" مليئة بالأحداث الحافلة، حيث قضى مجمل حياته في مدينة حمص، التي وُلد بها وعاش جُل حياته فيها متنقلاً بين بساتينها وغياضها، متنزهاً على ضفاف نهر العاصي، فهو لم يغادر الشام أبداً.

أما طفولة ديك الجن فيبدو أنها كانت عادية مثل أقرانه وحيواتهم الطبيعية، فكُتُبُ التراث لاتذكر شيئاً عن طفولته، حيث أننا لانجد في هذه الكتب شيئاً عن حياة الأعلام في غالب الأحيان، إلا أذا كانوا أبناء خلفاء أو وزراء أو غيرهم من رجالات الدولة والأعيان، فحياة المبدعين والأعلام لاتؤرخ عادة إلا بعد أن يلفتوا الأنظار في مجالات إبداعهم.(وما نستطيع الجزم به أن ديك الجن دُفع في طفولته إلا المساجد حيث المعلمون والعلماء، وحيث حلقات الدرس والبحث، ولقد انسحبت هذه الفترة على طفولته ومراهقته وصدر شبابه، لأن آراءهُ وشعره ينطقان بتحصيل كم وافر من مختلف علوم عصره)[1]

أما مُعظم فترة شبابه فتنقل لنا كتب الأدب والتراث أنه كان لاهياً مستهتراً، باحثاً عن اللذة أينما كانت في مختلف أشكالها الممكنة. ويبدو أن هذا الرأي أُخذ في أغلبه من شعره الذي قاله، وكأن شعره نمط واحد لا يتكلم فيه إلا عن اللذة والخمر والغزل الماجن، ونسوا شعره في رثاء أهل البيت ومدحهم، وفي الحكمة والغزل الصادق الذي قاله في زوجته "ورد بنت الناعمة"، وفي رثائها كذلك. كما أنهم تناسوا أن الشاعر فنان و الفنان مُبدع، وللمُبدع رؤية خاصة في تصوير الأشياء والتعامل معها، فهو يؤنسن الطبيعة والأشياء الصامتة البكماء، حتى كأنها في نظره إنساناً بكامل صورته وأحاسيسه. وهذا الفعل إنْ جاء من إنسان عادي رُمي بالجنون وذهاب العقل، لكن ديك الجن شاعر مبدع، وللمبدع حال خاصة، ويجوز في الشعر مالا يجوز في غيره.

1المصدر السابق، ص26.

الفصل الأول : ترجمة ديك الجنّ و عصره

كما أن أغلب ما عُرف عن ديك الجن من جري وراء اللذة المادية الجسدية، قد يكون مرده إلى نزعة التمرد التي يتبناها، ورفضه لكثير من قيم مجتمعه في مختلف المجالات الحياتية، من نُكرانه لخلافة بني العباس وولايتهم على المسلمين، ورؤيته أن الطالبيين أحق بها من غيرهم، إلى رفضه لمجازر العباسيين في حق أولاد الإمام علي وملاحقتهم. وتذمره من النفاق المنتشر بين العامة، ومداهنتهم للسلطة وتمترس الناس خلف الدين والتدين في الظاهر و العلن، مع أنهم أكبر الفسقة و الفجرة في السر و الخفاء.

كل ما سبق ذكره وغيره مما لم نذكره، جعل شاعرنا يُعلن عن آرائه دون تستر، وجهاراً، بل ويبالغ في ردود أفعاله في كثير من الأحيان حتى تخرج عن الحد المعقول و الواقعي، فيظهر هذا في شعره على شكل قصائد مُترعة بقيم ضد المجتمع وقيمه السائدة. وبهذا نُقلت عن ديك الجن صورة مشوهة، هي على الأرجح غير الصورة الحقيقية الواقعية، فهي بالتأكيد مُبالغ فيها. ولعلنا نسلم ببعض ما جاء في التاريخ عن حاله، إذا علمنا المأساة التي عاشها في حادثة قتله لزوجته "ورد" وبالتالي انكبابه على الخمر ومعاقرتها، وهو كذلك ما لا يجعل منه إنساناً شاذ الحال في ذلك العصر، فالخمر موجودة في كل مكان في مجتمعه، من القصور إلى عامة الدور. ونحن لا نُبرر له ذلك وإنما نُشيرُ إلى واقع حال ذلك العصر الذي عرف وضعاً تاريخياً و حضارياً مُعيناً.

و حياة ديك الجن في كهولته وشيخوخته قد لا تبدو مُتغيرة عن ذي قبل، فقد ترك جرح قتله لزوجته بعد مكيدة ابن عمه، أثراً غائراً لا يزول مع الوقت.(وهذه صورة من شريط حياته ينقلها لنا "سعيد بن يزيد الحمصي" الذي كان يتردد على ديك الجن، يكتب عنه شعره. لقد دخل عليه في أُخريات أيامه، وقد شابت لحيته و حاجباه و شعر يديه، وصبغ لحيته و حاجبيه، وبين يديه صينية الشراب و هو يضربُ بطُنبوره و يتغنى بشعر نفسه :

أقصيتموني من بعد فرقتكم * فخبروني علام إقصائي

الفصل الأول : ترجمة ديك الجنّ و عصره

عـذبـنـي الله بالـصـدود ولا * فـرج عـنـي هـمـوم بـلـوائـي

إن كنت أحببتُ حُبكم أحدا * أو كان هذا الكلام من رائي

فلا تصُدُوا فليس ذا حسناً * أن تُشمتوا بالصدود أعدائي)[1]

هذا ما عُرف عن حياة "ديك الجن"، وما تناقلته كتب التراث عنه، بغض النظر عن مدى صدق ما ورد من أخبار. فالتاريخ كثيراً ما يقتطعُ صوراً مجتزأة عن حياة الكثيرين، و بالتالي تكون الصورة غير كاملة و مشوهة لا يمكن الاعتماد عليها في إصدار الأحكام الموضوعية على الناس.

1إبن عساكر، تاريخ دمشق، تح سكينة الشهابي، ج42، مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، 1992، ص239.

*خامساً: ديك الجن ومأساته في كتب التراث:

إن مأساة "ديك الجن" خليق بها أن تكون إحدى الروايات المتناولة في الأفلام السينمائية الفنتازية، لكنها في الحقيقة أحداث واقعية تاريخية، و فرادتها جعلتها محط اهتمام للناس، وتناقلها عبر الأجيال مع تعدد رواياتها و ما نُسج حولها من أحداث. وهو ما جعل أُمهات كتب التراث تتناقل قصتها مع ما طرأ عليها من تغييرات في بعضها. ولعل أهم هذه الكتب هي: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وتاريخ دمشق لابن عساكر، و الكشكول لبهاء الدين العاملي، و وفيات الأعين لابن خلكان، وتزيين الأسواق في أخبار العشاق لداوود الأنطاكي، وهي الكتب التي سنتناول القصة من خلالها.

أ- كتاب الأغاني:

يعتبر أبو الفرج الأصفهاني من أوائل من رووا هذه المأساة في كاتبه الشهير الأغاني، حيث روى القصة بوجه أقرب للواقعية، يقول الأصفهاني : (وكان عبد السلام قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص، هويها وتمادى به الأمر حتى غلبت عليه و ذهبت به، فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها، فأجابته لعلمها برغبته فيها. وأسلمت على يديه فتزوجها، وكان إسمها ورداً، ففي ذلك يقول:

أنظر إلى شمس القصور وبدرها * وإلى خزاماها وبهجة زهرها

لم تبلُ عينك أبيضاً في أسود * جمع الجمال كوجهها في شعرها)[1]

هذه هي بداية القصة عند أبي الفرج الأصفهاني، حيث يذكرها مختصراً الزمان بين معرفته بها، إلى حين دعوته لها لدخول الإسلام، واستجابتها له، ثم زواجه منها، ويواصل القصة بعد ذلك فيقول عن ديك الجن (وكان قد أعسر واختلت حاله، فرحل إلى سلمية

1 الأغاني، ج 14، ص55،

الفصل الأول : ترجمة ديك الجنّ و عصره

قاصداً لأحمد بن علي الهاشمي، فأقام عنده مدة طويلة، وحمل ابن عمه بُغضه إياه بعد مودته له، وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوجها عبد السلام، أنها تهوى غلاماً له، وقرر ذلك عند جماعة من أهل بيته و جيرانه وإخوانه. وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام، فكتب إلى أحمد بن علي الهاشمي شعراً يستأذنهُ في الرجوع إلى حمص، و يُعلمه ما بلغه من خبر المرأة من قصيدة أولها:

إن ريب الزمان طال انتكاثه * كم رمتني بحادث أحداثه)[1]

في الأسطر السابقة من كتاب الأغاني، يظهر لنا السبب الرئيسي و الأول في وقوع مأساة قتل ديك الجن لزوجته ورد، وهو ابن عمه الذي نشر دعاية مُغرضة مفادها أن زوجته قد خانته مع غلام له، ونشر تلك الأكذوبة بين أهله وجيرانه وإخوانه.

ويواصل أبو الفرج سرد القصة (...ومدح أحمد بعد هذا، وهي طويلة، فأذن له فعاد إلى حمص. وقد ابن عمه وقت قدومه، فأرصد له قوماً يُعلمونه بموافاته باب حمص، فلما وافاه خرج إليه مُستقبلاً ومُعنفاً على تمسكه بهذه المرأة، بعد ما شاع من ذكرها بالفساد، وأشار عليه بطلاقها و أعلمه أنها قد أحدثت في مغيبه حادثةً، لا يجمُل به معها المقام عليها. ودس الرجل الذي رماها به، وقال له إذا قدم عبد السلام ودخل منزله، فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه، وناد باسم ورد فإذا قال من أنت؟ فقُل أنا فلان. فلما نزل عبد السلام منزلهُ، و ألقى ثيابه، سألها عن الخبر و أغلظ عليها، فأجابته جواب من لا يعرف من القصة شيئاً، فينما هو في ذلك إذْ قرع الرجل الباب، فقال من هذا؟ فقال : أنا فلان. فقال لها عبد السلام: يا زانية، زعمتِ أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً ! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها، وقال في ذلك:

ليتني لم أكن لعطفك نلتُ * وإلى ذلك الوصال وصلتُ

1المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وقال فيها أيضاُ:

لكِ نفسٌ مواتيه * و المنايا معاديه

أيها القلبُ لاتعُد * لهوى البيضِ ثانيه)[1]

مما سبق يظهر مكر وخديعة ابن عمه الذي حبك القصة الملفقة بكل تفاصيلها، وبدقة متناهية، ليصل إلى مبتغاه، وينتقم من ديك الجن في أحب و أعز ما يملك في هذا الوجود، بعد أن أثار الشك في صدره، و الشك نارٌ لا يخمد لهيبها إلا بعد أن تأكل الأخضر و اليابس.

هنا يتجلى سبب نكران ديك الجن للقيم التي يتبناها المجتمع في عصره، وهي قيم النفاق والتلون حسب المصلحة. فهذا ابن عمه الذي يدعي التدين والورع، يسهل عليه أن يزرع الفرقة و الفتنة بين الزوج و زوجته، زوراً و بهتاناً، فيتسبب في قتلها، في سبيل أن يصل إلى ما يحب.

يقول أبو الفرج:(وبلغ السلطانُ الخبر فطلبهُ، فخرج إلى دمشق، فأقام بها أياماً. وكتب أحمد بن علي إلى أمير دمشق أن يؤمنهُ، و تحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته. فقدم حمص، وبلغه الخبر على حقيقته وصحته، واستيقنه فندم، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء، ولا يطعم من الطعام إلا ما يُقيم رمقهُ، وقال في ندمه على قتلها:

يا طلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها) [2]

هذا ما نقله أبو الفرج في كتابه "الأغاني" من حكاية ديك الجن مع زوجته ورد، وهي تبدو قصة أقرب إلى الواقع، باعتبار أن أحداثها متماسكة مدعمة بشعر ديك الجن الذي يوافق سياقها. مع العلم أن ما جاء بعدها من سرد لهذه الحادثة في كتب التراث، قد بنى

1المرجع السابق، ج14، ص56.

2المرجع نفسه، ج14، ص57.

على قصة أبي الفرج في الأغاني، رغم الاختلافات البينة بينها و بين ما جاء بعدها من قصص.

ب-كتاب تاريخ دمشق:

وينقل ابن عساكر القصة في كتابه "تاريخ دمشق"، لكنها تبدو مغايرة في بعض تفاصيلها عما وردت به عند الأصفهاني.

يقول ابن عساكر: (كان عبد السلام بن رغبان، الملقب بديك الجن، شاعراً أديباً، ذا نغمة حسنة، وكان له غلام كالشمس، وجارية كالقمر، وكان يهواهما جميعاً. فدخل يوماً منزلهُ فوجد الجارية معانقة للغلام تقبلهً، فشد عليهما فقتلهما، ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلاً، ثم قال :

يا طلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها

ثم جلس عند رأس الغلام فبكى، وأنشأ يقول :

أشفقتُ أن يرد الزمان بغدره * أو أُبتلى بعد الوصال بهجره)[1]

فنجد في هذه الرواية، كيف أن ابن عساكر قد خلط قليلاً في شخصياتها، فجعل ورداً جارية مملوكة لديك الجن، وهي في الحقيقة زوجته، وجعل هذا الغلام الذي يحبه مملوكاً له، وهو في الحقيقة من أهل حمص عند أبي الفرج.

ج- كتاب وفيات الأعيان:

يورد "ابن خلكان" في كتابه المعروف "وفيات الأعيان" القصة، لا بنوع من الإضافة فيقول : (وكانت لديك الجن جارية يهواها إسمها "دنيا"، فاتهمها بغلام وصيف فقتلهما، ثم

1ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج42، ص241.

ندم على ذلك، فأكثر من التغزل فيهما) [1] فنرى كيف أن بن خلكان غير الإسم من ورد إلى دنيا، ثم يضيف بعد ذلك رواية أخرى ولا يكتفي بالأولى، يقول فيها : (ويروى أن المتهم بالجارية غلام كان يهواها، فقتله أيضاً وصنع فيه أبياتاً هي :

أشفقتُ أن يرد الزمان بغدره * أو أُبتلى بعد الوصال بهجره

فصنعت أختُ الغلام :

يا ويح ديك الجن يا تباً له * مما تضمن صدرهُ من غدره

قتل الذي يهوى و عُمر بعده * يا رب لا تمدد له في عمره) [2]

نلاحظ كيف أن هذه الرواية الثانية أضافت شخصية جديدة للقصة هي أختُ الغلام، وتتقمصُ دور شاعرة تهجو ديك الجن، وترُد عليه.

ومن هنا يتضح لنا كيف أن الحادثة واحدة، ولكن الروايات الناقلة لها تعدد، فيعمل الرواة بالإضافة أو الحذف أو التصرف و التغيير. وهذا الأمر ينطبق على كثير من الفنون، سواء الأدب أو التاريخ أو الحديث أو غيرهم.

د- كتاب الكشكول:

نجد في كتاب "الكشكول" لصاحبه "بهاء الدين العاملي" رواية لمأساة ديك الجن، فيقول عن ديك الجن (وكان له جارية وغلام قد بلغا من الحُسن أعلى الدرجات، وكان مشغوفاً بحبهما غاية الشغف، فوجدهما في بعض الأيام مختلطين تحت إزارٍ واحدٍ، فقتلهما وأحرق جسديهما، وأخذ رمادهما وخلط به شيئاً من التراب، وصنع منهُ كوزين للخمر، وكان

1ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح إحسان عباس، ج3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1978، ص186.
2المرجع نفسه، ج3، ص187.

يحضرها في مجلس شرابه، ويضع أحدهما عن يمينه و الآخر عن يساره، فتارةً يُقبلُ الكوز المتخذ من رماد الجارية و ينشدُ:

يا طلعة طلع الحِمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها

وتارة يقبل الكوز المتخذ من رماد الغلام و ينشدُ :

وقتلته وبه علي كرامةً * فلهُ الحشا و لهُ الفؤادُ بأسره) [1]

هـ- كتاب تزيين الأسواق في أخبار العُشاق :

أما "داوود الأنطاكي" فيقول عن ديك الجن، في كتابه "تزيين الأسواق" (وأنه عشق جارية وغلاماً واشتد بهما كلفه، وتهالك في حبهما حتى حان تلفه، فاشتراهما، وكان يجعل الجارية عن يمينه، والغُلام عن شماله، و يجلسُ للشرب، فيلثمهما ويشربُ من يدها تارةً، والغلام أُخرى، ولم يزل كذلك إلى أن أحس نفسه من شدة الحب أنه سيموت، ويصيران إلى غيره فذبحهما وحرقهما، وعمل رمادهما برنيتين، فكان يشربُ فيهما، ويقبلها عند الاشتياق. أشعاره في ذلك متضافرة، ومن أحسن ما كان يُنشدُهُ عند تقبيل برنية الجارية :

يا طلعة طلع الحِمامُ عليها * و جنى لها ثمر الردى بيديها

وعند تقبيل بُرنية الغلام :

أشفقتُ أن يرد الزمان بغدره * أو أُبتلى بعد الوصال بهجره) [2]

تتشابه هذه الرواية مع سابقتها المذكورة في كتاب الكشكول، في كثير من التفاصيل، لكن تختلف معها في تفاصيل أخرى، حيث تذكر هذه الرواية سبباً جديداً لقتل ديك الجن

1بهاء الدين العاملي، الكشكول، تح أحمد الزاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1961م، ص98،99.

[2]داوود الانطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العُشاق، ج1، دار حمد و محيو، ط1، بيروت، لبنان، 1972م، ص292،293.

للجارية والغُلام، وهو "الغيرة المرضية" التي كانت قاتلة، فتُصور القصة الشاعر مريضاً مجنوناً يقتلُ استجابة لوساوسه التي تحدثه بها نفسه، ولا يُستغرب إيرادُ داوود الأنطاكي لهذه القصة إذا علمنا خلفيته الطبية العلمية، فهو يريدُ تفسير أحداث هذه المأساة، فيجعلُ من ديك الجن مريضاُ يريدُ تشخيص مرضه، ويأخذ هو دور الطبيب؛ فيجعل مردّ ذلك إلى الحُب الشديد الذي أورث غيرة مرضية أنتجت وساوس قاتلة، ففي النهاية تعتبر هذه رواية أحد الأطباء الكبار؛ فنظرته الطبية تغلُبُ على أيّة رؤيةٍ أخرى.

من كل الروايات السابقة يظهر مدى الاضطراب والاختلاف الحاصل في القصة، خاصة بعد أبي الفرج، وكم الزيادة و الإغراب فيها. ونجد أن هذه المأساة قد القت بظلالها على الإبداعات الأدبية والفنية المعاصرة؛ فاستلهمها المبدعون وأعادواْ صياغتها في قصص و روايات و مسرحيات كثيرة .

*سادساً: مصادر ثقافته وفنّه :

كان ديك الجن يعيش في عصر عرف تطوراً كبيراً، في العلوم و الفنون، بفعل الانفتاح على الثقافات و المجتمعات الأخرى، ذات المرجعيات المختلفة عن المجتمع العربي و البدوي. كما أنه سليل أسرة عرف بعض رجالها العمل في دواوين الدولة وإدارتها، وهذا ما يجعل أسرته تدفع به إلى المسجد، حيثُ تعقد حلقات الدروس و المجالس العلمية، التي ينشؤها العلماءُ و اللغويون؛ فتلقف بذلك علوم عصره من لغة و أدب و دين و تاريخ، و غير ذلك من المعارف التي كونت ثقافته فيما بعد. ويتجلى هذا في شعره عندما يفخرُ فيقول :

ما الذنبُ إلا لجدي حين ورّثني * علماً وورثتهُ من قبل ذاك أبي [1]

(كما قرأ ما وصل إلى عصره من آداب العرب السالفين، ووقف طويلاً عند الشعر الجاهلي عامة، وشعر الصعاليك خاصة. و قد أُعجب بالصعاليك و فلسفتهم القائمة على التمرد و الرفض، بل لقد فاق صعاليك الجاهلية في تمرده و رفضه، فرأى فيهم أطفالاً رُضّعاً إذا ما قِيسوا به، فهو القائل يصفُ نفسهُ :

وخوض ليل تخاف الجن لُجّتهُ * وينطوي جيشها عن جيشه اللّجبِ

ما الشنفرى و سُليك في مغيّبة * إلا رضيعا لبان في حمىً أتبِ

إنهُ يصرّحُ باسم إثنين من الشعراء الصعاليك، هُما الشنفرى و السّليك بن السلكة، في سياق يدل بوضوحٍ على وعيه لشعرهم وسير حيواتهم. وإن بصمات شعر الجاهليين عامة والصعاليك خاصة واضحة في شعره، وفي المعاني وطرائق البناء الفني، ولعلّها أوضح ما تكون في قصيدته التي يفتتحها بقوله :

1مظهر رشيد الحجي، ديوان ديك الجن الحمصي عبد السلام بن رغبان، ص76.

الفصل الأول : ترجمة ديك الجنّ و عصره

أُحلل وامرر وضر وانفع ولن واخـ * شن وابر وانتدب للمعالي) [1]

في الحقيقة هذا ما يُفسّر سبقه و علو كعبه في ميدان الشعر والأدب، و من أين تشرّب جزءاً من تمرُّده و رفضه لواقعه بكُلّ ما يحمل من مُفارقات، لذلك كانت سيرة حياته مثالاً للمتمرد بكل ما تحمله الكلمة من معنى، بل إنّهُ تمرّد حتى على البناء الفنيّ الكلاسيكيّ للقصيدة العربية القديمة، ونحا نحواً جعلهُ من رافعي لواء التجديد و التحديث في الشعر العربي حينذاك، هو وجملة من الشعراء المجدّدين كبشار بن بُرد و أبي نواس و غيرهما.

كما يُعتبر التاريخ مصدراً هاماً من مصادر ثقافة ديك الجن و تكوينه؛ حيث أنه وقف مطولاً عند تاريخ الدعوة المحمدية، قارئاً و محللاً و وازناً و مُستلهماً، ونظر طويلاً في سيرة أهل بيت النبوة؛ فأدرك حياتهم و صراعاتهم الطويلة، وكيف استُضعفواْ و ضُيّق عليهم، وأخبار مصارعهم و تقتيلهم و تتبُّعهم في أصقاع الأرض. كل هذا جعل في نفسه جرحاً غائراً لا يندمل وهو المتشيّع لهم، ثم فاضت قريحته بأشعارٍ في مدح أهل البيت و رثائهم ، تتفجّر عواطف جيّاشة صادقة تعكس ظُلامتهم، وكيف جُرِّدواْ من حقوقهم .

كما ينبغي ألاّ نُهمل أثر فنّ الموسيقى والغناء، وما وصل إليه من تطور كبير، وكيف أثّر هذا في ثقافة ديك الجن، فقد كان عليماً بالموسيقى والغناء، بل كان مُغنّياً في مجالسه الخاصة، كما اوردت المصادر ذلك؛ حيث (أقبل ديك الجن على الغناء إقبال المُشارك المُبدع، فتعلّم العزف و أتقن قواعد الغناء، ولقد غدا ما تعلّمهُ في هذا الباب، جزءاً من مكوناته الثقافية والفنية، كان حسن الصوت، مُجيداً للضرب بالطُّنبور، وكان يتغنى بشعره لنفسه أو لندمائه الذين كانواْ يتحلّقون حولهُ في مجالس الشراب؛ فيلتذُّ بشعره وغِنائه و يلتذّ بما يُحدثُهُ من إعجاب في نفوس سامعيه)[2]

1المصدر السابق، ص37،38.

2تاريخ دمشق، ج42، ص239.

الفصل الأول : ترجمة ديك الجنّ و عصره

و لا ننسى أنّ الغناء شعر ولحن و موسيقى، ولا يقوم الغناء إلا بهما فهُما قدماه اللتان يقوم بهما، كما انّ للشعر موسيقى داخلية و خارجية تُقيم بناءهُ الفنيّ.

فديك الجن إذن ملمٌّ بفنون و علوم عصره، حالُه كحال كلِّ مثقّفٍ في زمانه أو في أيّ زمن من الأزمان، فالمُثقّفُ الحقيقيّ يكون آخذاً بطرفٍ من كلِّ علمٍ وفن من علوم وفنون عصره، بل وما سبق ذلك من معارف، كما تكون له رؤيةً واسعةً و منفتحة على ثقافات الشّعُوب و الأمم الاخرى.

*سابعاً: ولاؤه السياسي و الدينيّ:

كان عصر ديك الجن عصراً مضطرباً حافلاً بالثورات والعُنف، مثل أيّ عصر من عصور الدولة الإسلامية سواءً جاء بعدهُ أو كان قبله، فمثلاً (القرن الرابع للهجرة كان من أعنف العصور التي واجهت الدولة العباسية...) [1] ومردُّ انتشار العُنف والتقتيل، هو الحفاظ على الخلافة بأيّ شكل وأيّ ثمن، ثم توظيف الدين في ذلك وهو الأمرُ الأخطر الذي هزّ أركان التفكير الإسلامي، حيث تحالفت السلطة السياسية مع السلطة الدينية، لتُبرّر الأخيرة أفعال الأولى، و تتجلّى هذه الأفعال الشّنيعة في جرائم الخُلفاء والوزراء (فالقاهرُ ذبح عليّ بن يلبق وقدّمهُ لأبيه في طشت ثمّ ذبح الأب، وقدّم القاهرُ الرأسين إلى قائده مُؤنس المُلقّب بالمُظفّر، فتشهّد و علم بنهايته، ثم أمر بذبحه وجعل رأسهُ في طشت، و طوّف به الحرسُ في أنحاء بغداد ... ونُودي هذا جزاء من يخون الإمام ويسعى في فساد دولته) [2] فهذه الأمثلة توضح مدى دموية تلك العُصور، وكيفية التخلص من المعارضين فيها.

رغم كلّ ما سبق فإن شاعرنا كان في صفِّ المعارضة، حيثُ كانت هذه المعارضة متنوعة الألوان، وكان هو في صفّ المعارضة الشيعية التي كان يرى أنّها أحقُّ بالخلافة، فقد (وقف ديك الجن إلى جانب آل البيت مناصراً بلسانه و شعره، فكان واحداً من شُعرائهم المُخلصين، وقد قرأ تاريخ الدعوة الإسلامية و وعاهُ جيّداً، وتأثّر بعلم الكلام كغيره من شعراء السياسة، فعرض الحقائق التاريخية بصيغة تتوافق مع مذهبه السياسي، و اتّكأ على المنطق والجدل لإقناع سامعيه، وكانت مُعظم معانيه تدورُ حول قطب واحد، هو حقُّ آل البيت في الخلافة...) [3] وهو ما سعى ديك الجن إلى تأكيده في كل قصائده التي تناولت آل البيت،

1علي ديب، الأديب و المُفكّر أبو حيان التوحيدي، الدار العربية للكتاب، ط2، ليبيا–تونس، 1980،ص11.

2المرجع نفسه، ص14.

3مظهر الحجي، المصدر السابق، ص39.

مع مُحاولته تجسيد الطريقة الوحشية و الإرهابية العنيفة التي قُتل بها أئمّتُهُم و أعلامهم، في مُحاولة لكشف الحقيقة و استمالة السامعين لشعره.

وهناك مواقف لديك الجن، تثير الكثير من التساؤلات عند السامعين و الدارسين لشعره، فيرون أنّهُ كان إنساناً فاجراً يأتي المحرّمات و كل ما نهى عنهُ الدين، وأنّ حُبّهُ لأهل البيت و مناصرته لهم لم يمنعهُ من التهتك و القصف و شرب الخمر. لكن الذي يُدرك وضْع ديك الجنّ في مُجتمعه، وحاله التي يعيشها، يعلم أن هذه الحدّ إنّما هي نابعة من التّمرّد والتّحدّي ، والتّصدي للوُعّاض الذين يُصدّعون رأسهُ بخُطب الوعظ، والوقوف في وجه الفسقة كما يدّعون، لكنهم لا يرون أباطيل السُّلطة و الخُلفاء و مناكيرهم في الذبح والتقتيل. لذلك فكثير من هذه الأشعار إنما هي ردود أفعال مبالغٌ فيها كما أسلفنا، وقد يكون في كثير منها غير صادق، وإنّما هو لإغاظة هؤلاء الوُعّاظ المنافقين كما يرى.

وهذا ما فهمه "أبو العلاء المعري" من شعر ديك الجن و حاله، عندما أورد في "رسالة الغُفران" كلاماً بهذا المعنى يقول فيه (ورأى بعضهم عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن في النوم، و هو بحُسن حال فذكر له الأبيات الفائية، التي فيها :

هي الدُّنيا وقد نعموا بأخرى * و تسويف النفوس من السّواف

أي الهلاك، فقال : كنت أتلاعبُ بذلك، ولم أكن أعتقدهُ) [1]

من خلال هذا يُفهم كيف كان يُحاول أن يُشهر نفسه بكونه عربيداً سكيراً، وهذا حتى لا تأخذ معارضته طابع الجدية وبالتالي تُقلق السلطة العباسية فيتم بعد ذلك تصفيته والتخلص منه مثل سائر المعارضة السياسية، فديك الجن كان من الموالين للطالبيين المُعارضين للحكم العباسي.

1أبو العلاء المعري، رسالة الغُفران، تح عائشة عبد الرحمان، دار المعارف، ط6، مصر، 1977م، ص446.

*ثامناً: ديك الجن وعلاقته بشعراء عصره:

رغم أنّ ديك الجن لم يغادر الشام ولم يتجه إلى الخلفاء وقصورهم مادحاً لهم، أو لوزرائهم و رجال دولتهم، أو ينتجع بشعره، أو يتصدى للشعراء ويهجوهم، إلا أنّ شعره كان منتشراً، وشهرته ذائعة الصيت وملأت الآفاق. فقد كان يلقّب بشاعر الشام، وهذا ما جعل أشهر شعراء عصره يقصدونه، ويزورونه في بيته، كأمثال الحسن بن هانئ أبو نواس، ودعبل الخزاعي، وهما من هما، ويُدلون اعترافات في حقِّ شعره، تبيّن مكانته الشعرية و الأدبية.

يقول ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان (ولما اجتاز أبو نواس بحمص قاصداً مصر؛ لامتداح الخصيب بن عبد الحميد، سمع ديك الجن بوصوله، فاستخفى منه خوفاً أن يظهر لأبي نواس أنه قاصر بالنسبة إليه، فقصده أبو نواس في داره وهو بها، فطرق الباب و استأذن عليه، فقالت الجارية: ليس هو هاهنا، فعرف مقصدهُ، فقال لها: قولي له اخرج فقد فتنت أهل العراق بقولك:

موردة من كفّ ظبي كأنما * تناولها من خدّه فأدارها

فلما سمع ديك الجن ذلك، خرج إليه واجتمع به و أضافه.) [1]

هذه الرواية تُظهرُ أنّ شاعرنا كان مقصداً لأعلام عصره من الشعراء والمُثقفين، رغم أنه لم يكن باحثاً عن تلك العلاقات بل العكس، وهذا يُظهرُ مكانتهُ الفنية و الثقافية التي كان يحتلُّها في عصره بين الشّعراء آنذاك، مما جعل علماً كأبي نواس، يقصد بيته ويجتمعُ به، مع اعتبار أنّ المؤرخين لم ينقلواْ لنا الكثير عنهُ لاعتباراتٍ عدة، أهما أنّ السلطة لم تكن عنهُ راضية. وأغلب من نُقلت أخبارهم و أشعارهم من الشعراء، كانوا ممن مدحواْ الخُلفاء وجلسواْ في بلاطهم، وأبدوا عين الرضا من السلطة.

1ابن خلكان، المرجع السابق، ج3، ص180.

الفصل الأول : ترجمة ديك الجنّ و عصره

ولم يكن أبو نواس الوحيد الذي قصد بيت ديك الجن، بل كان مقصداً لكثير. فهاهو ذا دعبل الخزاعي قد (ورد حمص فقد دار عبد السلام بن رغبان ديك الجن فكتم نفسهُ خوفاً من قوارصه و مشارّته، فقال: ماله يستتر وهو أشعرُ الجن والإنس؟ أليس هو الذي يقول :

بها غير معذول فداو خُمارها * وصِل بعشيات الغبوق ابتكارها

ونلْ من عظيم الرِّدف كل عظيمة * إذا ذُكرت خاف الحفيظان نارها

فظهر إليه واعتذر لهُ، وأحسن نُزُلهُ

ثُمّ تناشدا، فأنشد ديك الجن ابتداءً قصيدةً :

كأنها ما كأنهُ خلل الخـ * لة وقف الهلوك إذْ بغما

فقال له دعبل: أمسك، فوالله ما ظننتك تُكملُ البيت إلا وقد غُشي عليك، أو تشكّيت فكّيك، ولكأنك في جهنم تخاطبُ الزبانية، أو قد تخبّطك الشيطانُ من المسّ.) [1]

فهذه الأخبار و غيرها، تُظهر مدى تواصل الشعراء في ذلك العصر، وكيف أنّهم يجتمعون إذا ما سمحت الظروف بذلك، ثم إنهم بهذه اللقاءات التي هي أشبهُ بالندوات و الصالونات الثقافية في وقتنا، تسمحُ للشعراء بالأخذ من بعضهم البعض، على المستوى الفكري والفني والثقافي بشكل عام. وهو ما ينعكس على آدائهم و أشعارهم بشكلٍ إيجابي.

ونورد أخيراً ما يوضح العلاقة التي كانت تربطُ ديك الجن بأبي تمام، فديك الجن يعتبرُ أستاذاً لهُ، و يذكرُ ابن خلكان رواية بهذا المعنى فيقولُ: (حدّث عبد الله بن محمد الزبيدي قال: كُنتُ جالساً عند ديك الجنّ، فدخل عليه حدثٌ، فسلّم أنشدهُ شعراً عمله، فأخرج ديك الجن من تحت مصلاهُ درجاً كبيراً، فيه كثير من شعره، فسلّمهُ إليه وقال: يا فتى تكسّب

1إبن رشيق القيرواني، العُمدة، تح محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، لبنان، 1981م، ص219،220.

بهذا واستعِن به على قولك، فلما خرج سألتُهُ عنهُ فقال: هذا فتى من أهل جاسم، يذكرُ أنّهُ من طيء، يكنّى أبا تمام، و اسمه حبيب بن أوس وفيه أدب و ذكاء، وله قريحة وطبع.) [1]

نستشفُّ من هذه الرواية عدّة أشياء، أولاً: اتصالُ أبو تمام بديك الجن منذُ بدايته الشعرية. ثانياً: المكانة التي كان يحتلُّها ديك الجنّ بين شعراء عصره، والتي جعلت أبا تمّام يقصدهُ مراراً و يأخذُ عنهُ. ثالثاً: تُنبؤُنا هذه الرّواية عن طبيعة نفس ديك الجنِّ الكريمة والسّمحة، وطريقة تفكيره الغيرية التي جعلته يُهدي لأبي تمّام درجاً كبيراً، فيه الكثير من شعره ليتكسّب به ويستعن على قول الشعر به أيضاً. رابعاً: إستشراف ديك الجنِّ للمُستقبل، ورؤيتهُ في أبي تمّام شاعراً عظيماً، فعندما سُئِل عنهُ قال: فيه أدبٌ و ذكاءٌ، ولهُ قريحة وطبع. فقد تنبّأ ديك الجنِّ بمستقبله، والذي كان مثلما رآهُ تماماً، شاعرٌ عظيم شغل الناس بشعره و طريقته في الإبداع.

ولا تنتهي علاقة أبي تمّام بديك الجن عند هذا الحد، بل استمرت حتى بعد أن أصبح أبو تمّام شاعراً عظيماً طبّقت شُهرته الآفاق، وطار اسمه في الأمصار، ورحّبت به القصور وجالس الملوك والأمراء. بل إنّه ظل يزور أستاذهُ كلما سنحت له الفرصة. يذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق، في إحدى الروايات المؤيدة لهذا، يقول (قُلنا لأبي تمام، لو أنبهت لنا ديك الجن مما هو فيه، و لك عشرة آلاف درهم. قال أبو تمام: فدخلتُ عليه وهو مطروح على حصير سكران، وغلام على رأسه يُروّحُهُ، فلما رآني الغلامُ قال له: مولاي أبو تمام، قال: ويلك، حبيب؟ قال: نعم، فقام فلبّبني، وقال: الحسن يقول مثلي؟ ثمّ أنشدني:

أما ترى راهب الأسحار قد هتف * وحث تغريده لما علا الشعفا

1ابن خلّكان، المرجع السابق، ج3، ص184.

الفصل الأول : ترجمة ديك الجنّ و عصره

قال: فلم أزل به حتى نوّمتُه و خرجت، فقيل لي: إنما قُلنا أنبهُ ولم نقُل لك نوّمه، قال: قُلتُ لهُم: دعواْ ذا ينام، فإنّهُ إن انتبه كرّمنا عشرة آلاف كبيرة) [1]

يتّضح من هذا، طبيعة العلاقة التي كانت تربط الرّجلين؛ فقد كانت علاقة صداقة ومودّة طبيعية عفوية خالية من كلّ كُلفة. كما أنّ هذا الخبر يُظهر كيف أنّ أبا تمّام، حفظ الجميل لأستاذه، ولم تزرع مكانته التي وصل إليها الكِبْر و التفاخر نفسه، بل كان وفيّاً لأُستاذه.

ومنّ الله عز وجل بالعُمر على ديك الجنّ، حتى تُوفي تلميذه أبي تمّام، وكأنّ ديك الجن مكتوب عليه أن يتجرّع ألم فقد الأحبة، ويشرب من كأسه حتى يسكر. ووصلنا من رثائه لأبي تمّام قولُهُ:

فُجِع القريضُ بخاتم الشعراء * وغدير دوحتها حبيب الطائي

ماتا معاً فتجاورا في حُفرة * وكذاك كانا قبلُ في الأحياء [2]

هذه الصورة التي تنقلُها لنا الروايات بين هذين الشاعرين، إنّما هي كذلك علاقة إنسانية تُعطي مثالاً رائعاً، لنوع العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الأُستاذ و التلميذ، وكيف أنها ترتقي بعفويّتها و طبيعتها الإنسانية السمحة، إلى مصاف العلاقات الإنسانية الخالدة، والتي من المفروض أن تُحتذى وتكون مثالاً.

1ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج42، ص240.

2مظهر الحجي، المصدر السابق، ص185.

*تاسعاً: آراء أعلام الأدب و النقد في ديك الجنّ و شعره:

لعلّهُ من الضروري أن نستعرض طائفة من آراء النُّقّاد و الأُدباء و الكُتّاب القُدماء، في شعر ديك الجن. و أقوالهم فيه حتى تتضح الرؤية قليلاً لدى القارئ، ليعلم المكانة الأدبية و الشعرية التي كان يحتلّها شاعرنا، ونوعية و مستوى الإبداع الذي كان يُقدّمُهُ. رغم أنّ الكثير من هؤلاء، لم يكونواْ يحمدون سيرتهُ في الحياة، وما عُرف عنه من آراء في الدين و السياسة والحياة. لكن الشيء الجيّد يفرضُ نفسهُ وإنْ على الخصوم؛ فلا يمكن لهم إلاّ الاعتراف بالفضل. من هاته الأقوال ما جاء في الكُتُب التالي ذكرُها:

1-الأغاني: (وهو شاعرٌ مجيد، يذهب مذهب أبي تمّام والشاميين في شعره)[1] في الحقيقة أبو تمّام هو من كان يذهب مذهب "ديك الجنّ"، لأنّ "حبيباً" ينزلُ منزلة التلميذ من أستاذه "عبد السلام"، ولا يخفى تأثير الأُستاذ على التلميذ.

2-تاريخ دمشق: (كان عبد السلام بن رغبان المُلقّب بديك الجن، شاعراً أديباً ذا نغمةٍ حسنة) [2] وفوق هذا فقد كان "ديك الجنّ" عالماً بالموسيقى والغناء، مُمارساً لهما في مجالسه العامرة بالنُّدمان، ولا يخفى ما للموسيقى من أثرٍ في تهذيب الذوق والمزاج.

3-العُمدة: (وديك الجنّ وهو شاعر الشام، لم يُذكر مع أبي تمّام إلاّ مجازاً، وهو أقدمُ منهُ، و قد كان أبو تمّام أخذ عنهُ أمثلةً من شعره يحتذي عليها فسرقها) [3] وهنا يتجلى فضلُ ديك الجنّ على أبي تمّام؛ خاصة في بداياته؛ حيثُ كان قد أعطاه نماذج من شعره كما أسلفنا سابقاً. حتى أنّ ابن رشيق يقول أنّهُ قد سرق تلك الأمثلة، وهو ما نجدهُ من تشابه في المعاني، بل وحتى المباني بين الشاعرين. وكان هذا الأمرُ بينهما عن طيب خاطر و

1أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج14، ص51.

2ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج42، 241.

3ابن رشيق، العُمدة، ج1، ص101.

مودة. يقول ابن رشيق كذلك: (وأبو تمّام من المعدودين في إجادة الرّثاء، ومثلُهُ عبد السلام بن رغبان ديك الجنّ، وهو أشهر في هذا من حبيب، وله طريق انفرد بها) [1] وهاهو ابن رشيق يُعطي مزيّة أخرى لشاعرنا على أبي تمّام، حيثُ يرى أنّ عبد السلام أشهر في مضمار الرّثاء من حبيب، رغم أن الأخير من المعدودين في إجادة الرّثاء.

4-تزيين الأسواق: كان أديباً حاذقاً لبيباً، كأنّما تنطقُ قريحتُهُ بالرِّقّة و اللّطافة و الغزل والظرافة) [2] وهذه شهادة أخرى من علمٍ من أعلام الأدب والطب، مُشاركٌ في علومٍ شتّى، ويُدركُ علوماً جمة، مما يجعل رأيهُ من أثمن الآراء، نظراً لتعدُّدِ الفنونِ التي من الممكن أن يرى القضية خلالها؛ فنظرتُهُ قد تكون أوسع من سواه.

5-مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: يقولُ ابن فضل الله العُمري: (كان إذا قيل شاعر الشام، لا يُرادُ غيره، ولا يُستفادُ إلاّ خبره... ولم يكن من شعراء زمانه إلاّ من يُنافسهُ في عزّه و يناؤه، ولا يُحسن أن يأتي بمثلِ طرزه) [3] لعلّ هذا القول أكثر قول يُبرز مكانة شاعرنا في القديم، حيثُ كان مُستحوذاً على لقبٍ عظيمٍ خليق به، نظراً إلى رمزيته التي يحملُها، والتي تُعطي صاحبها هالة عظيمة، وسمعة عميمة، هو أحقُّ بها من غيره.

6-كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب: يقول "ابن الأثير": (وديك الجنّ عبد السلام بن رغبان، أشهر من حبيب في الرثاء، ولهُ طريقة انفرد بها) [4] هذا القول هو تقريباً نسخة من كلام ابن رشيق السابق، لكن له دلالة على مدى اشتهار هذا الشاعر ومكانته الشعرية العالية، فهذه الشهادات تعاضد بعضها بعضا، وتتقوى بها الواحدة بالأُخرى.

1المرجع السابق، ج2، ص149.

2داوود الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج1، 292.

3إبن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، معهد تاريخ العلوم الإسلامية، جامعة فرانكفورت، 1988م، ج14، ص13.

4ظياء الدين بن الأثير، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تح نوري القيسي وحاتم الضامن و هلال ناجي، جامعة الموصل، العراق 1982م، ص88.

7-وفيات الأعيان: يقول ابن خلِّكان: (وكان ماجناً خليعاً، عاكفاً على القصف واللهو، متلافاً لما ورثهُ، وشعرهُ في غاية الجودة.) [1] رغم أنّ هذا الحُكم كان في أغلبه حول شخص "ديك الجنّ"، إلاّ أنّهُ في النهاية يتعرّضُ لشعره، فيُقرُّ لهُ بالغاية في الجودة، ويُعتبرُ هذا نقداً موضوعياً؛ نظراً إلى ما سبّق به كلامه عن شخص عبد السلام و سلوكه و أخلاقه.

8-فصول التماثيل: يقول ابن المُعتز: (ومما ينظاف إلى ذلك من مليح كلام شاعر الشام، وهو عبد السلام بن رغبان ديك الجن، قولُهُ في صفة الخمر.) [2] وهذه شهادة أخرى من علمٍ آخر يُصرّحُ فيها بفنٍّ شعري آخر تميّز فيه ديك الجنّ، هو وصف الخمرة، وهو في هذا يجتمع مع الحسن بن هانئ أبو نُواس في المنزلة، فهُما على رأس هذه الطّبقة التي اشتهرت بوصفِ الخمرة.

9-ثمار القلوب في المُضاف و المنسوب: يقول أبو منصور الثعالبي: (هو عبد السلام بن رغبان الحمصي، شاعرٌ مُفلِقٌ في المُحدثين.) [3] يشهدُ الثعالبي كغيره ممن تعرّضَ للحديث عن شاعرنا بالموهبة المطبوعة التي يمتاز بها، فهو شاعر مُفلقٌ، وهو الجيّد المُبدع الذي يأتي بما يُعجِبُ في شعرهِ.

ويظهرُ من هذه الآراء و الشهادات، أن شاعرنا كان مُتميزاً في كثير من العُلوم و الفنون، وآخذاً في غمار بحورها ولُججها.

1ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص184.

2عبد الله بن المُعتز، فصول التماثيل، تح جورج قنازع و فهد أبو خضرة، مجمّع اللغة العربية، دمشق، سوريا، 1989م، ص61.

3عبد الرحمن الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، 1965م،ص69.

*عاشراً: ديوان ديك الجنّ الحمصي :

لا توجد الآن مخطوطة كاملة جامعة لشعر "ديك الجنّ الحمصي"، وإنما ديوانه المطبوع حالياً مجموع من كتب التراث الأدبية والنقدية، والتي تُعنى بالتّراجم. وهو أمرٌ مستغربٌ؛ خاصة إذا عرفنا أن شاعرنا كان ذائع الصّيت، معروف المكانة. لكن هل لأنّهُ لم تصلنا مخطوطة كاملة لديوان "عبد السلام بن رغبان"، فبالضّرورة لا تكون قد وُجِدت قديماً؟

للإجابة على هذا السؤال، دعونا نرى ما يقوله الجامع الأخير لشعر ديك الجنّ في ديوان مطبوع، وهو "مظهر رشيد الحجّي"، يقول: (وأكادُ أجزمُ أنّ "ابن وكيع التّنيسي" كان يضعُ أمامه نسخة من ديوان ديك الجنّ، عندما ألّف كتابهُ " المُنصف في نقد الشّعر" الذي درس فيه شعر المتنبي، وتتبّع سرقاته الشعرية، وأعادها إلى مواطنها، ولقد كان شعر ديك الجنّ من أهم المواطن التي سطا عليها المتنبي.) [1] هذا كلامٌ يُبيّنُ الدافع الذي جعل مظهر الحجّي يستنتجُ وجود مخطوطة جامعة لشعر "ديك الجنّ" في ديوان كامل، خاصة إذا علمنا طبيعة عمل ابن وكيع في كتابه سابق الذّكر، والذي يقتضي منه جلب الشّواهد والأدلّة من مضانّها، حيث نجد أنّه استهد لشاعرنا بحوالي ثمانية و عشرين شاهداً.

ثم يُضيف الأستاذ مظهر الحجّي حول نفس النقطة فيقول: (وما ينطبق على ابن وكيع ينطبقُ على السّري الرّفاء، في كتابه "المُحبُّ والمحبوبُ و المشمومُ والمشروبُ" الذي تناول في الخمر و أوصافها في الشّعر. إنّهُ لا يستطيعُ أن يتخيّر ما تخيّرهُ إلاّ من ديوانٍ يسمحُ لهُ باختيار الشاهد المناسب على موضوعه المُحدّد.) [2] وقولُهُ هذا يعكس الكمّ الذي ضاع من جواهر أدبنا العربي القديم، فما ديوانُ ديك الجنّ المخطوط الضائع سوى دُرّة في كنز عظيم من النّفائس المفقودة. ومما يؤكّدُ كلامنا هذا حديثُه الآتي، حيثُ يقول: (لقد تقصّيتُ طويلاً أثر هذا المخطوط الضائع، ولكنّني لم أستطعِ الوصول إليه حتى الآن؛ مما

1مظهر الحجي، المصدر السابق، ص7.

2المصدر نفسه، الصفة نفسها.

دفعني إلى الاعتقاد بأنّهُ ضاع مع ما ضاع من تُراثنا، وإن كُنتُ يُخامرني الظنُّ أحياناً أنّهُ يرقُدُ في مكتبةٍ مُنتظراً التي تنفض عنهُ غبار النسيان. وممّا يُقوي هذا الظن في نفسي وجود عدد من الإشارات التي تقطع بأن ديوان ديك الجنّ المخطوط كان موجوداً في زمنها.)[1] ثُمّ يسترسلُ في إيراد تلك الإشارات، والشواهد التي تُؤيّدُ ما ذهب إليه.

أمّا في زماننا الحديث فإنّ ديوان "ديك الجنّ الحمصي" قد عُمل على جمعه و طباعتهِ وتحقيق شعره من طرف عدد من الباحثين و الأساتذة، لعلّ فضل الرّيادة في ذلك كان للأستاذين الحمصيين "محيي الدِّين الدرويش" و "عبد المُعين الملوحي"، حيثُ احتوى هذا الديوان – المطبوع أوّل مرة سنة 1960م، ثم أعيدت طباعته سنة 1984م، عن دار طلّاس بدمشق – على 111 مقطوعة ما بين قصيدة وبيت واحد، لكن الغريب في هذا الديوان هو أنّ الأستاذان الحمصيان أقصيا القصائد التي قالها ديك الجنّ في آل البيت، والتي هي في الحقيقة عصب شعر ديك الجن و قضيته. ولم يردا على ذكرها من قريب أو من بعيد.[2]

ثُمّ جُمع الديوان و طُبع مرة أخرى، من طرف الدكتور "أحمد مطلوب" و "عبد الله الجبوري"، حيث صدر سنة 1981م، و تظمن 149 مقطوعة، ما بين قصيدة و بيت واحد، وهو صادر عن دار الثقافة، بيروت، (اعتمد المحققان مطلوب والجبوري، "المُلتقط من شعر عبد السلام بن رغبان ديك الجنّ، للشيخ محمد السّماوي، ما لم يفعلهُ المُحقّقان الحمصيان، ثم أضافا إليه ما وجداهُ في كُتب الأدب. وقد قسّما الديوان إلى ثلاثة اقسام، الأول: في آل البيت، الثاني: فنون مختلفة، الثالث: تكملة الديوان، وختماه بقسم استدراكات و إضافات، أعدّهُ للكتاب أحد أصدقاء دار الثقافة من المحقّقين، مُعتمِداً "المنصف" لابن وكيع مخطوط

1المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

2يُنظر أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص19.

برلين) [1] ما يُحسب للمحققين العراقيين هو أنّهما أعادا إثبات شعر ديك الجنّ الذي قاله في أهل البيت، وهو ما لم يفعلهُ سابقاه، ثم إنّهما بذلا جُهداً كبيراً في جمع القصائد، وتحديد مصادرها.

وهناك ديوان آخر مطبوع لشعر ديك الجنّ، تحت عنوان "ديوان ديك الجنّ" جمعهُ "عبد الأمير مهنا" حيث (لم يُضف هذا الديوان الكثير إلى سابقه مطلوب و الجبوري، وكان ديده كما صرّح في مُقدِّمة العمل أنّهُ اعاد ترتيب الديوان السابق على حروف الهجاء، وأضاف إليه 28 بيتاً وقع عليها في كتاب "المُحب والمحبوب" للسريّ أحمد الرفاء.) [2]

كما يوجد ديوان آخر مطبوع، يُعتبر الأكمل من بين الدّواوين السابقة، هو "ديوان ديك الجنّ الحمصي" تحقيق وشرح "أنطوان محسن القوّال"، حيثُ صدر أول مرة سنة 1992م، وأُعيدت طباعتهُ سنة 2004م عن دار الكتاب العربي، في سلسلة شعراؤنا. وقد عمد القوّال إلى الاستفادة من كافة الدواوين السابقة، مع مراجعة العديد من كتب التراث و الدراسات الحديثة في وقته، منها كتاب ديك الجنّ الحمصي لمظهر الحجي، وهو كتاب جمع شعر ديك الجنّ، وصدر سنة 1987م عن وزارة الثقافة في دمشق، وقد جمع القوّال في عمله 784 بيتاً مرتّباً على حروف الهجاء، إلاّ أنّ مظهر الحجي أعاد جمع وتحقيق شعرديك الجنّ، ليُخرجه في عمل هو الأكمل حتى تاريخه تحت اسم "ديوان ديك الجنّ الحمصي، عبد السلام بن رغبان"، وهو من منشورات اتحاد الكُتّاب العرب سنة 2004م، وهو آخر ما جُمع من شعر ديك الجنّ إلى اليوم على حسب علمنا؛ حيث اجتمع للحجي من شعر ديك الجنّ 988 بيتاً موزّعة مابين القطعة والبيت والقصيدة، وبذلك قد أضاف الحجي على عمل القوّال 204 بيت شعري جديد.

1أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص19،20.

2مظهر الحجي، المصدر السابق، ص12.

الفصل الثانـي

موضوعات وأغراض شعر ديك الجن

-أولاً:الرّثاء.

-ثانياً:المدح.

-ثالثاً:الهجاء.

-رابعاً:الفخر.

-خامساً:الغزل.

-سادساً:شعر الخمرة.

-سابعاً:الوصف.

-ثامناً:الحكمة.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

لقد كان شعر ديك الجنّ متنوع المواضيع والأغراض التي تطرق إليها، مع تميُّزه في أغراضٍ بعينها وفوزه بقصب السبق فيها بين شُعراء عصره، بل كان لهُ دورٌ بارزٌ في تجديد الشعر.(وقد ظهرت في أشعاره موضوعات ومعانٍ وصور جديدة سبق غيره إليها، كالشكوى من الدّهرِ والمجون ورثاء الحيوان، واستخدام التاريخ في إعلان تشيُّعه لعلي وآل البيت.)[1]

فديك الجنّ شاعرٌ عظيم في عصره؛ لجودة شعره وحمله لكثير من قضايا عصره، وما كان يحمله من نزعة إنسانية و تمرُّدية، وخاصة في مراثيه المتنوعة بين أهل البيت(ع) وزوجته ورد و ولده رغبان وصديقه وتلميذه أبي تمّام.

*أولاً : الرثاء :

إنّ الرثاء من الموضوعات الواسعة في الشعر العربي، و(مادة رثاء تدور حول معنى الحزن و البُكاء والندب والتوجع، وورد الفعل "رَثَا" فيُقالُ "رَثَأَ" و غي مهموز فيُقال "رثا" ومعناهُما واحد.) [2] إذن يرتبطُ الرّثّاء ارتباطاً عُضوياً بالموت، فلا رثاء إلاّ لميّت مع تعدُّدِ اتّجاهاته. أمّا الرثاء اصطلاحاً (يعني التّفجُّع على الميّت و التّلهُّفَ عليه، وتِعدادِ مناقبهِ واستعظام المُصيبة فيه.) [3]

1-رثاؤه أهل البيت(ع):

يُعتبر شعر ديك الجنّ في أهل البيت من أصدق شعره على الإطلاق؛ وذلك لأنّه كان مؤمناً بظُلامتهم و متعاطفٌ معهم بسبب ما لاقوه من اضطهاد و تنكيل وظلم، بل تُعتبرُ قصائدهُ فيهم من أشهر لطميّات الشيعة إلى غاية يومنا هذا.

1أنطوان مُحسن الوّال، المصدر السابق، ص17.

2عبد الهادي عبد النبي، اتجاهات الرِّثاء وتطوره في العصر العباسي الأول، ط1، مصر، 1990م، ص5.

3أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ج2، ط12، 1338هـ، ص381.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

يقولُ في قصيدة في رثاء الحُسين بن علي وأهله(ع):

ما أنتِ منّي ولا ربعاكِ لي وطر * الهمُّ أملكُ بي والشّوقُ والفِكرُ

و راعِها أن دمعاً فاض مُنتشراً * لا أو ترى كبدي للحُزن تنتثرُ [1]

فيقولُ في مطلع هذه القصيدة إنّكِ لستِ مني، و لا صلة تربطُني بكِ، ولا حاجة لي في ربعكِ و دارك وأهلكِ، ولكن ما يتملّكُني غير الحُزن والهمّ و يأخُذُني الشّوقُ، مما يجعلُ أفكاري في اضطرابٍ واختلال. وفي هذا تمهيد و مُقدّمةٌ لِما يأتي، أو هو مُحاولةٌ لتهيئة المستمع نفسيّاً لما يسمعهُ من قصةِ ملحمةٍ سُطِّرت بين الخير والشّرِ، بين الحقّ والباطل.

ثُمّ يقول في الأبيات الموالية:

أين الحُسين وقتلى من بني حسنٍ * وجعفرٌ وعقيلٌ غالهم غمِرُ

قتلى يحِنُّ إليها البيتُ والحجرُ * شوقاً و تبكيهمُ الآياتُ و السُّورُ

مات الحسين بأيدٍ في مغائطها * طول عليه وفي إشفاقها قِصرُ

لا درّ درُّ الأعادي عندما وتروا * ودرّ درُّكِ ما تحوين يا حُفرُ [2]

يُظهر ديك الجنّ في البيت الأول أسلُوب التّساؤل، الذي هو في حقيقته إنكارٌ لقتل الحُسين و أهل بيته و أبناء إخوتهِ وأعمامهم. الذين قتلهم جاحدٌ حقودٌ مُبغِضٌ، كأنّما يستغربُ أن تُقتل عترة النبي صلى الله عليه وآله و سلّم، ممّن يدّعون اتّباع هذا النبي، وكيف يقتُلونهم إذا كانواْ يتّبعونهُ؟ ليبدأ بد ذلك في تبيين مكانتهم وشرفهم وكيف أنّ الكعبة و الحجر الأسود يشتاقانِ إليهم، بل يبكيهم القُرآنُ الكريم بآياته وسوره؛ لأنّ هؤلاء – البيت و الحجر و الآيات والسور – يعرفون حقّاً قدر أهل البيت وقُدسيتهم و شرفهم عند الله عزّ وجلّ. ثُمّ يُصوّرُ أنّ

1أُنطوان مُحسن القوّال، المصدر السابق، ص73.

2المصدر نفسه، ص74.

الحُسين مات بأيدٍ غاضبة مُبغضة لا رحمة فيها ولا إشفاق، حتى أنّ الشاعر يدعواْ على القتلة بأنْ لا كثّر اللهُ خيرهم ولا بارك فيهم، ثم يدعواْ للحُفر التي تحوي هذه الأجساد الشّريفة للأسياد البررة.

وتظهرُ في هذه الأبيات صور مأساةٍ وتفجُّعٍ عظيمين، تتجلى في ألفاظٍ مُعبّرةٍ مُوحية عن الحالة التي يُحسُّها الشاعرُ كـ (قتلى، غالهم، يحنُّ، شوقاً، تبكيهم، مات، الأعادي، وتروا.)

وتستمرُّ القصيدة بأبيات تتصاعدُ فيها وتيرة الحزن والفجيعة. يقولُ :

لمّا رأواْ طُرُقات الصّبرِ مُعرضةً * إلى لقاءٍ و لُقيا رحمةٍ صبرواْ

قالواْ لأنفسهم : يا حبّذا نهلُ * محمّد وعليٌّ بعدهُ صدرُ

رِدُواْ هنيئاً مريئاً آل فاطمة *حوض الرّدى فارتضواْ بالقتل واصطبرواْ

الحوض حوضهم والجدّ جدّهم * وعند ربهم في خلقه غيرُ

أبكيكم يا بني التقوى و أُعولكُم * وأشربُ الصّبر وهو الصاب و الصّبرُ

أبكيكم يا بني بنت الرّسول ولا * عفت محلّكم الأنواءُ والمطرُ [1]

ويصوّرُ الشاعر في الأبيات السابقة كيف أن الحسين و أصحابه، قد وجدواْ أنّ كُلّ السُّبُل قد سُدّت أمامهم، وهي مليئة بأعدائهم المتربّصين بهم، وأنهم ملاقوهم لامحالة، ثُمّ إنّهُم مُرتقون إلى ربّهم و مستشهدون، (تحمّلوا وصبروا وقالواْ لأنفسهم، ما أطيب أن نشرب كؤوس الموت على اسم محمّد و عليّ وبعده لا شراب) [2] ثمّ يخاطبهم بأن يشربوا من حوض الموت هنيئاً مريئاً، فآلُ فاطمة لهذا الحوض أهلٌ وهم له صابرون، فهو حوضهم

1المصدر السابق، ص74.

2المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الذي شرَب منهُ من أجدادهم كثير، وعند ربّهم يلتقون وتكون شؤونٌ أخرى. ثم ترتفعُ درجة التّفجّعِ و البُكاء ليُبدي بكاءهُ أهل البرّ و التّقوى، وأنّه يشربُ الصّبرَ و هو مُرٌّ كالعلقمِ، ويبكي أولادَ فاطمةَ في تفجُّعٍ متواصلٍ دائمٍ، ولا مَحَتْ العواصفُ و الأَمطارُ محالّهُم؛ فبقاؤهُم و آثارهم دائم مستمرّ.

وتواصلُ القصيدةُ جنائزيّتها المستمرة في أبيات جليلة، يقول شاعرنا :

في كلّ يوم من لقلبي من تذكُّرهم * تغريبة، و لدمعي منهم سفَرُ

موتاً وقتلاً بهامات مُفلقة * من هاشم غاب عنها النّصرُ والظّفرُ

كفى بأنّ أناة الله واقعةٌ * يوماً، و لله في هذا الورى نظرُ [1]

وتبقى ذكرى الحُسين(ع) وأصحابه ملازمةً لقلب ديك الجنّ، بل إنّهُ كلّما تذكّرهم شعر بغُربة موغلة، حتى أنّ الدمع يُغادرُ عينيه، فلا يقدرُ على البُكاء من فِرط قهره. كيف لا و المشهدُ لقتلى هُم أشرفُ الناس قاطبة هاماتهم مشقوقة، قد ضُربت أعناقُهم و حُزّت؛ في يوم غاب عنهم فيه الانتصارُ و الظفرُ؛ لأنهُم قُتِلواْ غيلة و غدرا. لكن ما يجعله يهدأ و ينشُرُ الأمل في قلبه، أنّ حِلْم الله واقع، وعدلُه آتٍ لا محالة. خاصة يوم يفصلُ بين الناس في الآخرة.

ففي هذه القصيدة نرى كيف أنّ موضوع الموتِ والحُزنِ و التّفجُّع منتشرٌ في كافةِ أبياتها، حتى أنّنا نكادُ نسمعُ صوت البُكاء والعويل صادر منها؛ وهذا يعكسُ صدق عاطفة الشاعر، ومدى تأثُّرِهِ بمأساة الحسين و أهله و ولائهِ لقضيتهم التي يحملونها؛ فالأمر في نظره مبدأُ والتزام. فالحسين خرج للإصلاح في أُمّةِ جدّه، ولم يخرُج أشِراً ولا بطِراً، فكيف يُقتلُ من خرج لأجل الخير و الفضيلة بهذا الشّكلِ الوحشي الذي لم يُراعِ حُرمة صغيرٍ أو كبير، رجل أو امرأة. بل كيف يُمثّلُ بجُثثِ القتلى و تُحزُّ الأعناق و تُداس الأجساد بالجِياد.

1المصدر السابق، ص نفسها.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

كُلّ هذه البانوراما التراجيدية ترتسم في مُخيّلة الشاعر، وتُطبعُ في ذهنهِ عند استحضار قضيّتهم، لتجعل موضوع الموت وما يتّصِلُ به ماثلاً في القصيدة كأنّما جُسّد تجسيداً، عبر مُفردات وعبارات منسوجة و مسبوكة عن طريق قريحة شاعرٍ فذٍّ مطبوع موهوب و متمرّدٍ.

وممّا يقولُ في أبياتٍ أُخرى في نفس الموضوع عن الحُسين(ع):

جاؤواْ برأسِك يا ابن بنت محمدٍ * مترمّلا بدمائه ترميلا

وكأنّما يا ابن بنت محمدٍ * قتلواْ جهاراً عامدين رسولا

قتلوك عطشاناً ولمّا يرقبواْ * في قتلِك التنزيل والتّأويلا [1]

في الأبيات السابقة نرى مشهداً مأساوياً، مُصوّراً تصويراً تشكيليّاً، فيتجسّد أمامنا الرأس الشّريف بعد فصله عن جسده وهو ملطّخ بدمائه. و كيف أتواْ به وهم مصرّين على ما فعلوهُ، وكأنّما قد قتلواْ بقتل الحُسين عامدين رسولا، والأكثر من كلّ هذا أنّهم منعواْ الماء عنه و عن أهله وأصحابه، ولم يُراعُواْ حُرمة القُرآن و التأويل. بل الأدهى و الأمَرّ أنّهُم يُكبّرون فرحين لقتلهِ؛ ولا يعلمون أنّهُم قتلوا بقتْلهِ الإسلام، كيف لا والقُرآن قد نزل في بيتٍ هو أحدُ أفراده.

ويظهرُ في الأبياتِ مرة أخرى موضوع الموت بكُلِّ وضوح، متجلياً في كلمات و مترادفاتٍ دالةٍ عليه؛ حيثُ نجد الفعل (قَتَلَ) بصيغهِ و أشكالهِ المُتعدّدة مُكرّر خمس مرات، ناهيك عن العبارات المُوحية و الدالة التي تُؤدّي إلى معناه، مثل (جاؤواْ برأسِكَ) وعبارة (مُترمّلاً بدمائه)، فهي كلمات تدُلُّ على القتْلِ و الإيغالِ فيه، بل على التّمثيلِ والتّلذُّذِ بهذا الفعل الشنيع الدّال على نفوسٍ مريضة يملؤُها الحقد والحسد .

1أنطوان محسن القوّال، المصدر السابق، ص107.

ويقول ديك الجنّ في مرْثيّة حُسينية أُخرى :

أصبحتُ مُلقى في الفِراشِ سقيما * أجِدُ النّسيم من السِّقام سموما

ماءٌ من العبرات حرّى أرضُهُ * لو كان من مطرٍ كان هزيما

وبـلابـلٌ لـو أنَّـهـنّ مآكِـلٌ * لم تُخطئ الغِسلين و الزّقّوما

وكرى يُروِّعُني سرى لو أنّهُ * صلٌّ لكان الحرُّ و اليحمُوما

مرّت بقلبي ذكريات بني الهُدى * فنسيتُ منها الروح والتّهويما

ونظرتُ سبط محمّدٍ في كربلا * فرداً يُعاني حُزنهُ المكضوما

تنحُو أضالعهُ سُيُوفَ أُميَّة * فتراهُم الصّمصُوم فالصّمصُوما

فالجسمُ أضحى في الصّعيد موزّعاً * والرأسُ أمسى في الصّعاد كريما [1]

في هذه القصيدة وهي في رثاء الحُسين أيضا، يُحاول الشاعر في الأبيات الأربعة الأولى، أن يُصوّر حالتهُ الجسديّة و النّفسية التي يُعانيها؛ حيثُ أنّ السّقمَ دبّ في جسمِهِ حتى صار طريح الفراش، بل إنّهُ أصبح يجدُ رَوْحَ النّسيم العليل كرياح السّموم. ثمّ إنّ دمُوعه الغزيرة تسيلُ كالماء على خدّيهِ المُلتهبين المحرورين بفِعلِ الحُمّى، ولو كانت دموعه مطراً لكانت مطراً هاطلاً لا ينقطع. كما أنّ نفسه لا تُفارقُها الوساوس التي (...لو كانت مأكلاً، لكانت أشدُّ مرارة وقذارة من غُسالة أهل النار وصديدهم، ومن شجرة الزّقُّوم.) [2] كما أنّ نعاسه إذا جاءهُ ليلاً يُخيفُهُ، ولو كان ظلاً لكان شديد الحرّ، ولكان دُخاناً أسوداً. هذا في الأبيات الأربعة الأولى، ثُمّ يذكرُ السّبب في الأبيات الموالية، وأنّ كلّ هذه الحالة التي يُعانيها إنّما هي من ذكريات مرّت على خاطره وقلبه، وهي ما جرى لأبناء عليّ بن أبي طالب(ع)، وما

1المصدر السابق، ص119.

2المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

حلّ بهم في مأساتهم الكبرى، فنسي بذلك راحته ونومهِ. كيف لا وقد رأى الحُسين(ع) وهو سبطُ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، مكلوماً وحيداً في كربلاء، يتوجّعُ من حُزنهِ المكتوم المكظوم، وأسلحةُ بني أميّة و مُرتزقتهم، تأكلُ ضلوعه و جميعهم مصمِّمٌ على قتله و أهل بيته، حتى أضحى صريعاً مُمزّق الجسد الذي تناثر على تُراب الأرض، أما رأسُهُ الكريم فبعد أن حُزّ وفُصل عن الجسد الشريف، ففوق الرِّماح عالياً.

نرى كيف أنّ الشاعر يُحسنُ تصوير المعاني بشكل عام، سواءً ما كان يجيشُ بخاطره من مشاعر وأحاسيس داخلية، و وساوس تؤرِّقُه و تقُضّ مضجعهُ، وما يُعانيه من ألم شاق لا يُفارقُهُ، أو ما حدث في موقعة الطّفّ بكربلاء، و كيف بدت مُعاناة الحُسين وأهله و ما وقع لهم من تقتيل، فديك الجنِّ يملك خيالاً وقوة مُصوِّرة تُحيلُ المعاني شخوصاً ماثلة للعيان. وهو ما يُميّزه في أغلب شعره في كافة الأغراض التي نظم فيها.

هذه نماذج من شعر ديك الجنّ في رِثاء أهل بيت النُّبوة(ع)، وهي تُعدُّ بحقّ من أصدق أشعاره ومراثيه. رغم أنّ الشاعر في كل رثائه كان صادقاً لأنّهُ كان شاعراً حرّاً؛ ولم يتكسّب بشعره عند الخُلفاء والأُمراء، بل إنّ مُعظم شعره كان ناتجاً عن تجارب شخصية عاشها، عكست صدقهُ فيها.

2-رثاؤهُ زوجته "ورد" :

يُعدُّ الرثاء من أصدق الأغراض الشِّعرية التي يتناولُها أي شاعر، لأنهُ لا يرتبط بالمصلحة أو تحقيقُ المنفعة في عُمُومه، فما بالك إنّ كان هذا الشِّعرُ الصادق قد قيل في الزوجة(قيل لأعرابي: ما بال المراثي أصدقُ أشعاركم؟ قال: لأنّنا نقولُ و أكبادُنا تحترقُ.) [1] والزوجة هي الحبيبة والصّاحبة و أمُّ الولد، لذلك في تتركُ أكثر من أثر و مكان.

1الجاحظ، البيان و التّبيين، ج2، تح عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف و التّرجمة والنّشر، ط2، القاهرة، مصر، 1991م، ص32.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

وتُعتبرُ مراثي ديك الجنّ في زوجته "ورد بنت الناعمة" من أصدق مراثيه ،لأنّها تكتسي طابعاً خاصاً قَلَّ نظيره في الشّعر العربي، فهو الفاقد و المُفْقِد، وهو القاتل و الراثي، ولك أن تتخيّل اختلاج المشاعر التي تضطرمُ في نفس ديك الجنّ، بين الألم والحسرة والاشتياق و النّدم، فيتشظى بين هذه الأحاسيس القاتلة ليُبدع شعراً مطبوعاً صادقاً، يقولُ في ورد:

*أشفقتُ أن يُدلي الزمان بغدره * أو أُبتلى بعد الوصال بهجرهِ

قمرٌ أنا استخرجتُهُ مـن دجـنـه * لبلـيّتي وجـلـوتُـهُ مـن خـدرهِ

فـقـتـلـتُـهُ و بـهِ علـيّ كـرامـة * مِلء الحشا و لهُ الفُؤادُ بأسرهِ

عـهدي بـهِ ميتاً كأحسن نائم * و الحُزنُ يسفحُ عبرتي في نحرهِ

لو كان يدري الميْتُ ماذا بعدهُ * بالحـيّ حلّ مكانهُ فـي قبرهِ

غُصَصٌ تكادُ تفيضُ منها نفسُهُ * وتكادُ تُخرِجُ قلبهُ من صدره [1]

فالأبياتُ تُعبّرُ عن انكسارهِ وندمهِ، وفَقدهِ للذّةِ الحياة بعد فقد زوجته ورد، فهو قد كان يخشى و يُحاذرُ غدر الزّمان، و الفُرقة بعد الوِصال، فإنّ ديدن القدر تفرقة المُحبين و لقائهم و وصالهم، وإنْ بعد حين، فحبيبُهُ يحاكي القمر، بل هو القمرُ ذاتُهُ، قد استخرجهُ بحُبّهِ من جوٍ مُكفهِرّ مُظلم، لكن ليجُرّ عليه الويلات و الألم؛ لأنّهُ قتله لمّا كان منهُ ما كان، رغم أنّهُ ظلَّ عزيزاً عيه ويحتلُّ من قلبهِ الحشا. و حبيبُهُ جميلٌ حيّاً وميتاً، بل إنّهُ لا يُشبِهُ الموتى، إنّهُ كالنائم. وتظلُّ دُموعُهُ تسيل على عُنُقِهِ بسبب حُزنه العميق عليه. وحبيبه لو درى ما بِهِ من ألمٍ و حُزنٍ لِفراقه، لأشفق عليه وقام من قبره و أصبح هو الحيُّ مكانه، ليُريحهُ من غُصَصِ

1أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص78،77.

العذاب التي تكاد تزهقُ نفسهُ، و تجعل قلبه يخرج من قلبه بسبب هذه الآلام التي لا يحتملها مخلوق.

وقد أبدع ديك الجن في الأبيات الماضية تصوير حُزنه العميق، وأجاد إيصال المعاني التي تعتصرُ نفسهُ للمتلقِي؛ لأنّها تُعبّرُ عن صدق التجرُبة و انطباعها في ذاته المُحطّمة المُعذّبة، و مُعاناته الفراق الذي تسبّب هو فيه، فيكون الألمُ بذلك مُضاعفاً.

وقال أيضا في "ورد"، لكن يبدو أنّه قال هذه الأبيات قبل أن يعرف مكيدة ابن عمه الذي تسبب في قتله "ورداً" :

قُل لمن كان وجهه كضياء * الشمس في حسنه وبدر منير

كنت زين الأحياء إذا كنت فيهم * ثم قد صرت زين أهل القبور

بأبي أنت في الحياة وفي المو * ت وتحت الثرى ويوم النشور

خُنتني في المغيب و في الخون نُكرٌ * وذميمٌ في سالفات الدُّهور

فشفاني سيفي و أسرع في حـ * زِّ التّراقي قطعاً وحزِّ النُّحُور [1]

رغم أنّ الأبيات لا تُظهِرُ قدراً كبيرً من التّفجُّعِ، ولا ندماً على فِعلِ القتلِ، وإنّما تحملُ تبريراً لهذا الفِعلِ الشّنيعِ، نتيجة لتسرُّعِ الشاعر في حُكمهِ على زوجتِهِ بفِعلِ الغيرة. ثُمَّ إنّهُ لم يعلم بعد أنّها بريئة، وأنّ الذي وقع ما هُو إلّا مكيدة و دسيسة من فعل ابن عمّه "أبو الطّيب". إلّا أنّ هذه الأبيات تُظهِرُ مقدار حُبّهِ لها، فهو لا يزالُ يراها شمساً مُضيئةً وبدراً مُنيراً، بل لاحِظِ البيت الأول كيف حُشِدت فيه ألفاظاً مُوحية بالحُسنِ والجمال (كضياء، الشمس، حسنهِ، بدر، مُنير) و هو ما يُنبئُ عن منزلتها في نفسه رغم كل شيء، ونرى في البيتين الثاني و الثالث كيف تتجلّى مُقابلة المعاني وطباق الألفاظ بين موضوعي الموت

1أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص78.

والحياة، و هو أمرٌ يُعبّرُ عن مدى الصراع الداخلي الذي يُمزّقُ الشاعر، ونفسُهُ الحرّى التي تستعِرُ فيها نار الغيرة والألم، والنّدم الفتي، إلّا أنّهُ يعودُ في البيتين الأخيرينِ ليُبرِّر فعلهُ، في مُحاولة لإطفاء تلك النار، ليُلقي بذريعة الخيانة و كيف أنّها أمرُ مذمومٌ في كلّ النواميس و الشّرائع؛ وهذا ما دعاهُ إلى استلالِ سيفهِ، وإسراعهِ إلى قتلها وحزّ نحرها، والأبيات توضِّحُ مدى الصراع الداخلي الذي يعيشُهُ الشاعر و يُمزّقُ كيانه.

ويقول ديك الجنّ بعد علمهِ كذب التُّهمة التي ظنّها بزوجته ورد، وأنّهُ قتلها بحيلة قرابتهِ راثياً لها، وتُعتبرُ هذه الأبيات من أشهر مراثيهِ فيها:

يا طلعةً طلـع الحِمامُ علـيها * و جنى لها ثمر الرّدى بيديها

روَّيتُ من دمها الثّرى و لطالما * روّى الهوى شفتيّ من شفتيها

قد بات سيفي في مجال وشاحها * ومدامعي تجري على خدّيها

فوحقّ نعليها و ما وطئَ الحصى* شيْءٌ أعزُّ عليّ من خدّيها

ما كان قتلـيها لأنّـي لم أكُن * أبكي إذا سقط الذُّبابُ عليها

لكن ضننتُ على العُيونِ بحُسنها * و أنِفتُ من نظرِ الحسودِ إليها [1]

ترسم الأبيات صورة مأساوية لحال "ديك الجنّ" بعد قتله زوجته "ورد"، وهو يُصّور فيها كيف قتلها. وينقُلُ أحاسيسهُ ومشاعره إبّان قتلها وبعد ذلك؛ فيُظهِرُ كيف أنّ هذه الطّلعة البهيّة، جنى لها الموتُ ثمارهُ القاتلة المُرّة، وكيف روّى دمها الأرض، وكم أطفأ الحُبّ شفتيهِ من شفتيها. وكيف أجال سيفُهُ في عنُقها و هو في الوقت ذاته يبكي عليها، ودمُوعُهُ تجري على خدّيها، ورغم قتلهِ لها إلاّ أنّهُ لم يكُن أعزُّ عليهِ منها في هذا الوجود، ولم يقتُلها لأنّهُ لم

1المصدر السابق، ص135.

يكن يُحبُّها ويغار عليها من لمس الغبار لها، ولكن قتلها ضنا على العيوب بجمالها وأن ينظر إليها من كان يحسدني عليها.

يبقى ديك الجنّ بارعاً في إيصال أحاسيسهِ ومشاعره للمُتلقّي، حتى يكاد أن يتقمّص دور الشاعر في تجربته التي مرّ بها، وهذا راجعٌ إلى صدق العاطفةِ و قوّةُ التّفجُّع، و عُنفُ هذه التّجربة التي خلخلت كيان الشاعر وهزّت مكامنَ نفسِهِ؛ فلا هو قادرٌ على المُضيِّ في الحياة بدونها و لا بقدورهِ أن يُعيدها إليهِ.

ويقولُ في أبياتٍ أُخرى في رِثاء ورد كذلك :

أَما آن للطّيفِ أن ياتيا * وأن يطرُقَ الوطنَ الدّانيا

وأنّـي لأحْسِبُ ريبَ الزمـ * ـان يترُكُني جسداً باليا

سأشكُرُ ذلك لا ناسيا * جميلَ الصّفات و لا قاليا

و قد كُنتُ أنشُرُه ضاحكاً * فقد صرْتُ أنشُرهُ باكيا [1]

هذه المقطوعة تُظهرُ مدى اشتياق شاعرنا لحبيبته وزوجته، التي قضت على يده؛ فهو مُلتاعٌ لهذا الفقد الذي تسبّب فيه، حتى صار يُخاطبها متمنيّاً أن يأتي طيفها ليزورهُ، علّهُ يُسلّيهِ و يؤنسُهُ في هذا البلد القريب، وهو من فِرطِ هذه اللّوعة يعتقدُ أنّ أحداث الدّهر والأيّامِ ستودي بهِ، وتترُكَهُ جثّة هامدة بالية. وسيشُكُرُ لها طيفها لزيارتهِ لهُ، وسيكُونُ مُمْتنّاً ولن ينسى تلك الأيام الحُلوة التي جمعتهما سابقاً، زمن صفاء الحُبِّ والمودّة. ولقد كان يُعلنُ ذلك أيام حياتها ضاحكاً، لكن بعد موتها صار يُعلِنُهُ باكياً حزيناً.

من خلال الملاحظة يظهر لنا، أنّ النماذج الشعرية التي نقل فيها ديك الجن مأساتهِ و صوّر فيها أحاسيسه، يُمكن أنْ نُقسِّمها قسمين، قسمٌ قالهُ قبل معرفته الحقيقة، وكيف أنّ

1المصدر السابق، ص135،136.

الأمر برُمّتِهِ لا يعدُو أن يكونَ مكيدةً. وقسمٌ ثانٍ بعد معرفتهِ لتفاصيل ما جرى في هذه الدّسيسة. أمّا الأولُ فيظهرُ فيهِ العِتاب و اللّومُ للحبيب وتبريرِهِ لفعلتهِ، رغم أنّهُ لا يستطيع إخاء شعورُ الحُبِّ الطافحِ لهذا الحبيب، وأما الثاني فيتجلىّ فيه النّدم و التّفجُّع والانكسار و الحُرقة التي أصابتهُ من سُؤِ فعلتهِ التي لا تُغتفر.

ومن نماذج القسم الأول، نجد هذه الأبيات :

خُنتِ سِرّي مُواتيه * والمنايا مُعاديه

أيُّها القلبُ لا تعُد * لهوى البيضِ ثانيه

ليس برقٌ يكونُ * أخلبَ من برقِ غانيه

خُنتِ سرّي ولم أخُن* كِ فموتي علانيــه [1]

حيثُ نجدُ هنا، كيف أنّ الأبيات لا تحملُ أيّ ندم أو حسرة، إلا من ندمِه على حُبِّهِ لها؛ ويتجلى هذا في البيت الثاني، فيُخبرُ قلبهُ، بأن لا يعود لحُبِّ النساء مرة أخرى. و يُعطي السّبب في البيتِ الذي يليهِ، ليقول أنّ النِّساء و حُبُّهُنّ و وعودُهُنَّ إلاّ كالبرقِ الخادع الكاذبِ، الذي لا يعقِبُهُ مطر. وفي هذا التّشبيه بين المرأة والبرقِ الخادع، صورةٌ زادت من تقريب المعنى الذي أراد الشاعر أنْ يُوصلهُ للسامع، حيثُ جعلهُ ماثلاً أمامهُ في شكلٍ أقرب إلى الذّهن. ثُمّ يعودُ لتبرير فعلته في قتلهِ لها، بأن يذكُر بأنّها خائنة و لم يخُنها، ولأجلِ هذا فإنّها تستحقُّ أنْ تموت أمام اللهِ و الخلقِ أجمعين.

3-رثاؤُهُ جعفر بن علي الهاشمي :

تُعتبرُ العلاقة بين ديك الجنّ و جعفر و أحمد ابني علي علاقة صداقة ومحبة صادقة، فهُما من أعيان أهل البيت في بلاد الشام، وهما امتداد لسُلالة النّبي صلى اللهُ عليه

1المصدر السابق، ص136.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

وآلهِ و سلّم، وكان ديك الجنّ من الشِّيعة، لذلك كان من الطّبيعي أنْ يتواصل معهما، بل وأن يقول فيهما شعراً و في بعض أقاربهما.لذلك نجد في ديوان ديك الجنّ قصيدة في رثاء "جعفر بن عليّ الهاشمي" يقولُ في مطلعها :

على هـذه كانت تدورُ النّـوائــبُ * وفــي كـلّ جـمـعٍ لـلـذهاب مذاهبُ

نزلنا علـى حُـكـم الزّمـان و أمره * وهل يقبلُ النّصفُ الألدُّ المُشاغبُ

و يضحكُ سنُّ المرءِ و القلبُ موجعٌ * و يرضى الفتى عن دّهرهِ وهوعاتب [1]

يبتدئ ديك الجنّ هذه القصيدة بإظهار جزَعهِ و وخوفه من هذه النّائبة العظيمة، التي كانت تتربص حتى نالت مُبتغاها، ولكلّ أُناس مُعتقدهم و نظرتهم للموت الذي يُفرّقُهُم بعد أن كان شملهم ملموماً. وليس للمرءِ إلا أنْ يرضى و ينزل على حُكم الأيام وما تُريد، لا يقبلُ الإنصاف و العدل، وماذا يُمكن للإنسان أن يفعل فكثيراً ما يضحك في الظّاهر لكنّ قلبهُ و باطنهُ موجوع، وأحياناً أخرى يرضى بما في الزّمان، رغم أنّهُ كثير العتب على أيّامهِ.وتظهرُ في هذه الأبيات المُفتَتِحة للقصيدة كثير من الحكمة و الرّضا، تنُمُّ عن تجرُبة في الحياة، وكأنّما يُريدُ الشاعر أن يُواسي نفسهُ و يُصبّرها على المُصابِ الجلل الذي حلّ بها، لفقد جعفر بن عليّ الهاشمي. يقولُ في الأبياتِ المُوالية :

ألا أيّها الرُّكـبانُ والرّدُّ واجبٌ * قِفواْ حـدّثونا ما تقُلُ النّوادبُ

إلى أيّ فتيان النّدى قَصَد الرّدى * و أيّهُم نابت حِماهُ النّوائبُ

فيا لأبي العبّاسِ كم رُدّ راغبٌ * لفقدك ملهوفاً وكم جُبّ غاربُ

و يا لأبي العبّاس إنّ مناكباً * تـنُـؤُ بـمـا حـمّـلْـتَـها لنواكبُ

1المصدر السابق، ص29.

فهالت أخاً لم تحـوِهِ بقرابةٍ * بلى إنّ إخوان الصّفا أقاربُ [1]

يوجّهُ الشاعرُ الكلام للرّكبان، و يسألُهُم بأن يُجيبواْ لأنّ الرّدَّ واجبٌ بعد السؤال، أخبرُونا ما تقولُ الباكيات على الميّتِ، في تِعداد حسناتهِ وخلالهِ، وأيُّ فتيان الكرم و الجود أصاب الموت، و أيُّهم أصابت ديارهُ المصائبُ و الحادثات. ثُمّ يُبدي تحضُّرهُ على أبي العبّاس وهي

كُنيةُ جعفر بن علي الهاشمي، وكم بعد موتك رُدّ طالبُ حاجةٍ خائبا، و قُصم ظهرُ ملهوفٍ فلم ينل ما يُريدهُ ويبتغيهِ. ثُمّ إنّ المناكب التي حُمّلت مُعضلة فقْدِك مفجوعة تحاول أنْ تقوم بما تحمل، لكنها مُثقلة حتى تعْجَزُ عن هذا الحِملِ العظيم.

وفي الحقيقة إنّ المُصيبة عظُمت على إنسان (الشاعر) يعُدُّ نفسَهُ أخاً للميّتِ وإنْ لم توجد بينهما علاقةُ دم، فالقرابةُ التي تجمعُهُما هي أنّهُما إخوانُ صفاء.

ثُمّ يخاطبُ ديك الجنّ قبر جعفر بن عليّ الهاشمي فيقولُ :

يا قبرهُ جُدْ كُلّ قبرٍ بجودِهِ * ففيك سماءٌ ثرّةٌ و سحائبُ

فإنّك لو تدري بما فيك من عُلا * علوتَ وباتت في ذُراك الكواكبُ [2]

فعندما يُوجّهُ ديك الجنّ إلى القبر الكلام، يطالبُه أنْ يسقي كُلّ قبرٍ حولهُ بمطر جعفر بن عليّ الهاشمي لأنهُ يضمُّ بداخلِهِ سماءً غزيرة المطر، والمعنى أنّك تضُمُّ الجود والكرم، فالشاعرُ يُوجّه الكلام للقبر لكنّهُ يقصدُ المُتلقّي حتى يُعرّفهُ بصفات و مناقِب الفقيد، فالخطابُ هنا خطاب غير مباشر، على طريقة "إيّاكِ أعني و اسمعي ياجارة".

1المصدر السابق، ص 29.

2المصدر نفسه، ص30.

ثم يقولُ للقبر – دائماً – لو دريت مافيك من عزٍ وأمجادٍ وشرفٍ، لارتقيتَ و علوت حتى صِرتَ كالسّماء التي تلتمعُ فيها النجوم والكواكب والأفلاك.

وينتقل الشاعر في باقي القصيدة ليُحدّث عمّا يشعُرُ بهِ من أحاسيسَ، تفيضُ بها نفسه و تغمُرُ فؤاده، وكم يُكنُّ لجعفر بن عليّ الهاشمي من إجلال و محبّة؛ فقد كان يبكيه دماً مخافةً عليه وهو حيٌّ أمامهُ، أمّا عند غيابه عنهُ فكانت عيناهُ تعميان من النّحيب، و إذا طالبهُ الناس بالصّبرِ ردّ عليهم بأنّ بُكاء الكرام واجب. وهو صادق في كُلّ مشاعره تجاه الهاشميَّين لأنّ (ديك الجنّ مُحِبّاً لهُما، صادقاً في حُبّهِ، ولذلك كان موتُ جعفر بن علي فاجعة صاعقة للشاعر، ولقد رثاهُ بقصيدة رائعة تُعتبرُ من عُيون شعر الرِّثاء؛ لأنّهُ فقد فيه الأخ الحبيب و الإمام الهادي. وكان أحمد و جعفر مُحبّين للشاعر وفيّينِ لهُ، و قد وقف أحمد بن عليّ إلى جانبِهِ عند محنتِهِ بزوجتِهِ ورد فنهض بأمرهِ، و توسّط لدى السُّلطان، وتحمّل عليهِ بوجوه قومه حتى نال العفو لديك الجنّ عن جريمتهِ البشِعة.) [1]

4-رثاؤه ولدَهُ رغبان :

يبدو أنّ شاعرنا أجاد الرّثاء و تميّز فيه من بين فحول الشُعراء قاطبة، لأنّ تجربتهُ في هذا الفنّ كانت نابعةً من واقعٍ حقيقيّ استمرّت ظلاله معه لبقية حياته، تُلاحقُهُ باستمرار حتى قضت مضجعه. فضلاً عن موهبته الفذّة التي تميّز بها، فها هو ذا يرثي فلذة كبده الذي يُفترض أنْ يعيش من بعده، حاملاً اسمهُ مُبقياً أثرهُ. إنّهُ ولدهُ "رغبان" الذي مات في سِنّ صغيرة، ممّا جعل الشاعر مُقطّع القلب مُحترق الكبد. يقولُ في إبنهِ :

بأبي نبذتُك في العراء المُقفرِ * و سترتُ وجهك بالتُّراب الأعفرِ

بأبي بذلتُك بعد صونٍ للبلى * ورجعتُ عنك صبرتُ أم لم أصبرِ

1مظهر الحجّي، المصدر السابق، ص49.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

لو كُنت أقدرُ أن أرى أثر البلى* لـتركتُ وجهـك ضاحـياً لـم يُقبرِ [1]

وهي أبيات تُصوّرُ مدى الحُزن الذي يعانيهِ من فقد ابنه، فيُخاطبُ ابنهُ قائلاً: بأبي، أفديك كيف رضيتُ أنْ أترُكَكَ في مكانِ مُقفرٍ وعر؟ بل واستطعتُ أن أغطّي وجهكَ بتُراب الأرض الأعفر؟ أفديك بأبي، كيف سلّمتُكَ للموت بعد أنْ كُنتُ أصُونُك و أحفِظُكَ من كُلِّ نائبة؟ وكيف تركتُكَ هناك بذلك المكان المُقفر و عُدت وأنا لا أدري أأستطيعُ صبراً على فراقك أم لا أقدر؟ لو كان باستطاعتي أنْ أرى كيف يؤثِّرُ الموتُ فيك، لتركتُ وجهك ظاهراً فوق الأرض و لم أدفنك.

نلاحظُ في الأبيات تكراراً لكلمة "بأبي" في بداية البيت الأول، ثُمّ في بداية البيت الثاني، والتِّكرار يُفيد التأكيد و التّوكيد. فالشاعرُ فعلاً – وهو أبٌ – لو أمكنَهُ أنْ يفتدي ابنهُ من الموتِ لافتداهُ بنفسِهِ التي بين جنبيه، ما في ذلك شكٌّ. ثُمّ نلحظُ كذلك استعمال الشاعر للأفعال الماضية بكثرة (نبذتُ، سترتُ، بذلتُك، رجعتُ، صبَرتُ، كُنتُ تركتُ) وهي تدُلُّ على الاستكانة و الرُّضُوخ للأمر الواقع، فليس ثمّةَ من يستطيع أن يُصارع الموت أو يُغيّرهُ، و ما من لحظة في حياة الإنسان يتجلىّ لهُ فيها العجز التام، وعدم القُدرة على فعل شيء، مثل اللحظة التي يُواجه فيها الموت؛ سواء موته هو أو موت أحد أحبابه، حيثُ لا يستطيع أنْ يملك من الأمرِ شيئاً، **ولا يستشعرُ هذا إلا من جرّبهُ.**

وفي مقطوعة رثاء أخرى في ولده يقول ديك الجنّ :

ليس يخشى جيش الحوادث من جُند * داهُ وفدا صبابة ودُموعِ

قمـرُ حيـن رام أن يـتـجلـىّ * سـار فـي المـحاقِ قبل الطُّلوعِ

فلذة من صميم قلبي و جزءٌ * من فُؤادي وقطعة من ضلوعي

1أنطُوان القوّال، المصدر السابق، ص81.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

لصغـيـر أعـار رزء كبـيـر * وفـريـد أذاق فـقْـد جـمـيـع

إن تكُن في التُراب خير ضجيع * كُنتَ لي في المعدِ خير شفيعِ [1]

مثل الأبيات السابقة، تصوّرُ هذه الأبيات حالة ديك الجنّ بعد أنْ نُكِبَ بفقد ابنه، ورزاهُ الموتُ بالتفريق بينهما، فيُشيرُ إشارةً سريعةً في البيت الأول إلى خبرة رجل نزلت به الكثير من حوادث الدّهر، فيقول أنّ من يملكُ صبابة و ولعاً شديدين، مع دموع وبُكاء، لا يخشى هُموم نوازل الأيام وشرّها، فهُما مثل الجيشين اللّذين يرُدّانِ عن صاحبهما الأثر السّيء و المُدمِّر لمشاكل الحياة و حوادثها. ثُمّ ينتقل إلى وصف ابنه، فهو صغير و جميل مثل القمر أراد أن يظهر ويتجلّى، لكن يدَ المنون عاجلتهُ ولم تسمح لهُ بالطُّلُوع و التّمام. فهو شظية من قلبه المُمزّق و جزء منه ومن ضلوعه و نفسهِ التي بين جوانحه، ورغم صِغرهِ إلاّ أنّ مصيبتهُ كانت من أعظم الرّزايا التي حلّت به، فقد كان مثالاً نادراً أحسّ بفقده كأنّما فقد الجميع، ثُمّ يلتفِتْ في البيت الأخير إلى الحياة بعد الموت، ولسانُ حالهِ يقول: (يا بُني إنْ تكُن في التُّراب خير دفين، فأنت في الآخرة خيرُ من يشفعُ بي عند اللهِ، فيُسامحُني و يغفرُ لي زلاّتي.) [2] و في هذا إشارة واضحة وجليّة إلى عقيدة "ديك الجنّ" في المبعثِ والقيامة، وهي ترُدُّ عنهُ تُهَمَ الإلحاد و عدم إيمانِهِ بالبعث كما يتوهّمُ البعض، بسبب بعض أشعاره التي كانت في أغلبها لونا من التّمرُّد والرّفضِ للمُجتمع، والوضع القائم في عصرهِ، وقد أسلفنا ذكر هذا الأمر و تطرّقنا إليهِ آنِفاً. أمّا رثاؤه لولده فيبقى شعراً صادقاً تظهرُ فيه عاطفة الأبُوّة، والتحصّر الشديد على فقده ابنه، ويحمِلُ الكثير من القيم الإنسانية السامية، التي تتجلى في العلاقة بين الأب و ولده كالرّحمة والشّفقة والتّضحية. و كان في مُجملهِ شعراً مُعبّراً دالاً، حيثُ كانت عباراتُهُ موحية و أساليبُه متنوعة بين الخبر والإنشاء، كما كانت فيه الصّورة

1المصدر السابق، ص92،93.

2المصدر نفسه، ص93.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

الشّعرية جميلة، أوصلت للمُتلقّي ما أراد الشاعر أنْ يبُثهُ إليه، من أحاسيس و مشاعر تدُلّ على حاله عند المُصيبة التي ألمّتْ بهِ.

ويعتبر شعر ديك الجن في هذا الباب –الرّثاء– من أميز شعره بشكل عام، وكذلك في الشعر العربي القديم قاطبة، وهذا من خلال شهادة النُّقاد له بذلك. وما النّماذج التي ذكرناها في رثاء "أهل البيت" وزوجته "ورد" و "جعفر بن علي الهاشمي" وولده "رغبان" إلا أمثلة من بعض شعره.

*ثانياً : المدح :

يُعتبرُ المدحُ من أهمِّ الأغراض في تاريخ الأدب العربي القديم، حيثُ يُعدُّ من أكثر ما قال الشُّعراءُ من قصائد، وقد ارتبط كثيراً بالخُلفاء والأمراء والوزراء، فقد كان الشُّعراء يتّجهون إلى مثل هؤلاء، ويقولون فيهم شعراً يتكسّبون من خلاله لينالواْ بذلك أموالاً وعطايا تُعينُهُم على المعاش في حيواتهم. (والمديحُ تِعْدادٌ لجميل المزايا، و وصف الشمائل الكريمة، وإظهار للتقدير العظيم الذي يُكِنّهُ الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا وعُرفواْ بمثل هاتيك الشمائل.) [1] ولا تكون قصائد المديح صادقة في أغلب الأحيان، لأنّ غرض الشاعر التّكسُّب بها عادة، وقد لا تُوافق صفات الممدوح الحقيقية ما في القصيدة من صفات مذكورة.

أمّا شاعرنا ديك الجنّ، فلم يُعرف عنهُ أنّهُ قصد الملوك والخلفاء والوزراء، لأجل مدحهم ونيل عطاياهم وأموالهم كما يفعل شعراء عصره أو من كان قبلهُ، وبهذا لا نجد في ديوانه شعر التّكسّب، وإنّما كان كُلّ مدحه مقتصراً على مدح آل النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، ومدح جعفر و أحمد ابني عليّ الهاشمي؛ فقد كان يراهما امتداداً لآل البيت عليهم السلام. وهذا كما لا يخفى بسبب توجُّهه الديني، كما أنّه لم يكُن راضٍ عن السلطة القائمة، بل كان ناقماً عليها.

1-مدح أهل البيت(ع):

يقول ديك الجنّ في قصيدة مادحاً الإمام علي(ع)،مُفتتحاً بذكره محبة أهل البيت(ع):

شرفي محبّةُ معشر * شرُفواْ بسورة "هل أتى"

و وِلايَ فيمن فتكُه * لذوي الضلالة أخبتا

و إذا تكلّم في الهُدى * حجّ الغويَّ و أسكتا

1أحمد أبو حاقة، فن المديح و تطوّره في الشّعر العربي، دار الشّروق الجديدة، بيروت، لبنان، 1962م، ص14.

فلفتـكِه و لـهديهِ * سمّاه ذو العرش الفتى

ثبتٌ إذا قَدَمَا سواهُ * فــي الـمهاوي زلّـتـا [1]

ففي هذه القصيدة يمدح ديك الجن الإمام علي (ع)، حيث يشير في البيت الأول إلى أنّهُ يشرف و يستمد شرفه من محبة قوم شرفهم الله عز وجل بتنزيل سورة "هل أتى" في حقهم، وهم أهل بيت النبي صلي الله عليه وآله وسلم، سرج الهدى و أئمته.

ثم يبدأ في مدح الإمام علي (ع) دون أن يذكر اسمه تصريحاً، إنّما يُعدّد صفاته وأفعاله الدالة عليه، فولاء شاعرنا لمن كان يبطش بأهل الضلالة والكفر، وكان يرُدُّهم إلى الله خاشعين متواضعين، أما إذا تكلّم الإمام في أمور الدّين والحقّ، أفْحَمَ الضّال بالحُجّة الدّامغة؛ فأسكتهُ و لم يستطع جواباً؛ فهُو فاتكٌ و هادٍ. ثُمَّ يُشيرُ إلى حديث للنبيّ صلى اللهُ عليه وآله وسلّم، قالهُ يوم غزوة "أُحُد" في حقِّ الإمام عليّ(ع) و هو (لا فتى إلاّ عليّ، ولا سيف إلاّ ذو الفِقار) [2] ، وقد ذكر "حسان بن ثابت"(ر) هذا الحديث في إحدى قصائده.

و يستمرُّ في باقي القصيدة في مدح الإمام، فيقول:

لم يعبُدِ الأصنام قطُّ * ولا أراب ولا عتا

غرستْ يدُ الباري لهُ * رَبْعَ الرّشادِ فأنبتا

و أقامهُ صنواً لأحمـ * ـد دوحُهُ لنْ يُنحتا

صنوانِ هذا مُنذرٌ *وافى، و ذا هادٍ أتى

يهدي لِما أوفى بِهِ * حُكمُ الكتاب و أثبتا

1أنطوان القوال، المصدر السابق، ص47.

2أخرجهُ أحمد بن حنبل في فضائل الصّحابة، وابن هشام في السّيرة، وابن الأثير في الكامل في التاريخ، وهو مشهور.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

فهو القرينُ لهُ وما * افترقا بصيف أوشتا [1]

في الأبيات السابقة، يُخبرُنا الشاعرُ عن صفا الإمام عليّ(ع) الذاتيّة، فهو لم يعبُد صنماً قطّ، ولا شكّ فيما أتى بِهِ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، ولم يكُن مُستكبِراً و مُتجاوزاً لسُؤٍ أبداً؛ وكُلُّ هذا لأنّ الله عزّ وجلّ هيّأهُ لذلك؛ فقد جعلهُ مُلازماً للنّبيّ صلى اللهُ عليه وآله وسلّم؛ فشرب من مّعين النُّبوّة الطّاهر، ونالتهُ يدُ العناية الإلهية فأقامهُ نظيراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلّم، وكان مُشتركاً معهُ في النّسب، وهو نتاج تربيّتهِ الصّالحة فلم يُفارقهُ أبداً.

يقولُ بعد ذلك في هذه القصيدة :

لكنّما الأعداء لم * يـدعُـهُ أنْ يتلـفّـتا

ثقْلُ الهُدى وكتابُهُ * بعـد النـبـيّ تشتّتا

واحسرتا من غصْبهِ * وسُـكُوتِهِ واحسرتا

طالت حياةُ عدُوّهِ * حتّى متى؟ وإلى متى؟ [2]

أمّا في هذه الأبيات السّالفة، فيتطرّق ديك الجنّ للصعوبات و العراقيل والمشاكل التي تعرّض لها الإمام علي(ع)، حيثُ أنّ الأعداء ما تركُوهُ يلتفتْ، فقد شغَلُوهُ بالنزاع و الصّراع، حتى أنّ الثقلان قد تشتّتا، ولم تعتني بهم الأُمّة. ثُمّ يتحسّرُ على غصْبِ الإمام و قهرهِ وسكُوتِهِ، حتىّ أُسكِتَ نهائياً بقتلهِ غدراً وخديعةً، وبقي قاتلُهُ حيّاً، بل وطالت حياتهُ، فإلى متى هذا؟.

في هذه القصيدة التي مَدَحَ فيها ديك الجنّ الإمام عليّ(ع)، حاول أن يُظهر خصال وخلال ممدوحهِ عبر لُغة اقتربت من اللّغة الدينية، حيث استند على بعض النُّصوص

1أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص47.

2المصدر نفسه، ص48.

الشرعية أو أشار إليها مثل سورة "الإنسان" في بداية القصيدة، و حديثُ "لا فتى إلا علي و لا سيف إلا ذو الفِقار"، وحانت منهُ إشارة إلى حديث آخر، وهو حديثُ الثّقلين[1] في قوله (ثقْلُ الهُدى وكتابُهُ).

ويقولُ ديك الجنّ في أُرجوزة يمدحُ فيها أهل البيت عليهم السّلام :

إنّ الرسول لم يزل يقُولُ * و الخيرُ ما قال بـهِ الرّسولُ

إنّك مني يا عليّ الأبـيّ *بحيثُ من موساهُ هارون النبيّ

لكنه ليـس نبـيّ بـعـدي * فأنت خير العـالـمين عندي [2]

فيفتتحُ الشاعر الأُرجوزة بإشارة إلى حديث نبوي شريف في حق الإمام عليّ(ع)، يقرن فيه النبي صلىّ الله عليه وآله وسلّم نفسهُ بالإمام عليّ(ع)، ويُمثّلُ نفسيهما كما موسى وهارون عليهما السلام، إلا أنّهُ لا نبيّ بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم،. ثُمّ يبدأ بذكر فضائل الإمام عليّ(ع) إلى أنْ يصلَ إلى زواجه من فاطمة الزهراء (ع)، وكيف أنّها سيدة النّساء، في إشارة إلى حديث نبويّ آخر، ثُمّ كيف أنّ هذا الزواج كان بأمرٍ من المولى عزّ وجلّ، بعد أنْ خَطَبها غير الإمام كثير، إلا أنّ النبيّ صلىّ الله عليه وآله وسلّم، لم يرضَ بتزويجها إلّا لعليّ(ع)، وكيف أنّ الملأَ الأعلى قد احتفل بهذا الزواج المُبارك السّعيد. يقول في القصيدة :

وأنتَ لي أخٌ وأنتَ الصّهرُ * زوّجَك الذي إليه الأمرُ

ربُّ العُلا بفاطم الزهراء * ذات الهُدى سيّدة النّساء

1ورد الحديث بعدة ألفاظ، وهو حديث (إني تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به، لن تظلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)، وروى الحديث مسلم في صحيحه، والنّسائي و التّرمذي في سُننهما، والحاكم في المُستدرك، وعبد الرزّاق في المصنّف، وغيرهم كثير.

2أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص139.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

أوّلُ خلقٍ جاؤ فيها خاطباً * عنك إليّ جائياً وذاهباً

وقال: قد قضى إلهُك العلي * بأن تُزوّج البتُول بعلي

فزيّن الجنات أحلى زينه * واجْتَلَت الحورُ على سكينه

ولاحت الأنوار منهُ الساطعة * و صَفّ أملاكَ السّماء السابعة [1]

ويُصوّرُ ديك الجنّ احتفال الملإ الأعلى تصويراً فنّياً رائعاً، يجعل الصورة ماثلة في ذهن المُتلقّي، حتى كأنّها أمامهُ في قباله يشاهدُها عياناً، وكيف تزيّنتِ الجنّات بخير زينتها وظهرت الحُور العين لتُشارك في هذا العرس المُقدّس الحادثِ بأمرٍ إلهيّ، لتتلألأ الأنوار و تسطع في السّماء و تصطفّ الملائكة ابتهاجاً ويفرحُ الكون بأسرهِ.

و يقولُ ديك الجنّ في الأبيات الخمسة الأخيرة :

وقد حباني منكم السّبطين * هُما بحلْي العرش كالقرطين

فالحمد لله على ما قد حبا * لخمسة الأشباح أصحابُ العبا

هُم لمن والاهُم أمان * إذْ كان بهم يكمُلُ الإيمان

وهم يدُعّون الذي لهُم قلى * للنار دعّا حيثُ كان المُصطلى

وهُم هُداة الخلق للرشاد * و الفوز في المبدإ و المعاد [2]

يُخبرُ الشاعر كيف أنّ نتاج هذا الزواج المُبارك المُقدّس – لارتباطه بأمر الله عزّ وجلّ – قد كان ولادة السّبطين الإمامين الحسن والحُسين، وكيف اكتمل بذلك عدد أصحاب الكساء الخمسة، وهو إشارة منه إلى الحديث الشّريف المعروف بحديث الكساء، ثُمّ إنّ هؤلاء

1أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص139.

2المصدر نفسه، ص140.

الخمسة أمان لمن والاهم، وعكس ذلك لمن عاداهم وناصبهُم البُغض؛ فيكون مصيره بذلك العِداء النّار يصلاها، فإنّ بهم الإيمان وهم أصحاب الهُدى والرّشاد، والفوز في هذه الدُّنيا وفي الآخرة للخلق أجمعين.

ونلاحظ في شعر ديك الجنّ الديني وخُصوصاً المُتعلّق بمدح أهل البيت عليهم السلام، بروز ظاهر "التّناص" مع النصوص الدينية المُقدّسة، سواء القرآن الكريم أو السنة النّبوية المُطهّرة. والأمثلة و الإشارات كثيرة في شعره لهذه النُّصوص، ويُمكن فهم هذا على أنّهُ محاولة لاستعمال الأدلة والبراهين و الحِجاج لإثبات ما يذهب إليه من حقوق أهل البيت(ع) المسلوبة والمغصوبة أمام كل من يُنكرُ ذلك ويدّعي عكسه، كما أنّ يستعين بالتاريخ و حوادثه للهدف نفسه.

2-مدحه أحمد بن علي الهاشمي :

ليس هناك في ديوان ديك الجنّ مدح إلاّ لأهل البيت (ع)، ومقطوعة واحدة في مدح أحمد بن عليّ الهاشمي؛ حيثُ يذكُرُهُ فيها بالإسم في البيت الأخير منها، وقد قالها عندما سافر إليهِ بسَلَميَّة، ثُمّ أراد أن يستأذن في الرّحيل و العودة إلى بيته، ويبدو أنّ ما قالهُ ديك الجنّ في مدح أحمد أو جعفر بن علي الهاشمي قد ضاع مع ما ضاع من شعره، فليس من المعقول أن تجمعه بهما مودة وصداقة ثُمّ لا يقولُ فيهما شعراً، كما أنّ المقطوعة سالفة الذكر تبدو ناقصة الأبيات غير مُكتملة، لأنّ معناها الأكبر وهو المدح غير مُكتمِل. يقول فيها :

إنّ ريـب الزّمان طال انتكاثُه * كم رمتني بحادث أحداثُه

ظبي إنس قلبي مقيل ضحاهُ * وفؤادي بريـرهُ وكُبـاثُـه

وكم و كم أستغيثُ من شحطة الدا*رِ ولم يُسعفِ النّوى مُستغاثه

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

خيفة أنْ يخون عهدي أنْ يُضـ * حي لغيري حُجوله و رعـاثُـه [1]

تبدأ هذه الأبيات بالشكوى من الدّهر و تغيُّره، والمصائب و النّوائب التي أصابت الشاعر بسبب ذلك. ثُمّ يدخُل بعد ذلك في التّغزُّل بالحبيب الذي هو كالظبي المُستأنس، فينام في قلبه يرعى في فؤاده، لكنّه يخشى من بُعد الدار ويستغيثُ بمن يُعيدُهُ إليها، لكنّهُ لم يُسعَف رغم ذلك . وكُلُّ هذا لأنّ لهُ بهذه الدار حبيباً يخشى أن يخون العهد بينهما فيُضحي مع غيره مُستمتعاً به. وفي هذا الشّكل من البِناء للقصيدة مشيٌ على التقليد القديم لبناء القصيدة العربية، حيثُ تبدأ بالوقوف على الطّلل أو بثِّ الشّكوى، ثُمَّ ذكر الأحبة و التّغزُّل بهم وغير ذلك من الأغراض، ليأتي الغرض الرئيسي في القصيدة وهو المدح. ومثلُ ذلك في هذه القصيدة حيث يذكر ديك الجنّ ممدوحهُ في البيت الموالي، وهو أحمد بن علي الهاشمي، فيجعلُ رجوعه إلى دياره مُقترناً بمشيئة هذا الممدُوح فيلُمّ بذلك شملاً يخشى عليه التّفرُّق:

فإذا شاء أحمد بن علي * ضمّ شملاً لهُ يخافُ انشعاثهُ [2]

وعدم اكتمال القصيدة وضياع باقي أجزائها واضح، حيث أنّ المعاني والأغراض تبقى ناقصة حتى تتمّ هذه القصيدة وتصير كُلّاً واحداً؛ فمن غير المعقول أن يمتدح الشاعرُ ممدوحهُ المُقرّب إلى قلبه ببيتٍ واحدٍ لا أكثر لم يُتمّ فيه باقي المعاني. ومما يدُلُّ على ما ذهبنا إليه من ضياع كثير من شعر "ديك الجنِّ" وصول بعض الأبيات مُفردة، وهي في باب المدح الذي نحن بصدده، مثل قوله:

ونمدحُ أقواماً سواك وإنّما * إليك نُسديه و فيك نُزخرفُه [3]

1المصدر السابق، ص51.

2المصدر نفسه، ص51.

3المصدر نفسه، ص98.

ومن المُستحيل أنْ يُقال بيت واحد في غرض المدح مع عدم معرفة الممدوح، ولا الإشارة إليه مع انقطاع المعنى وعدم اكتماله. ومن أمثال ما وصل مُنفرداً و هو شبيه البيت السابق وفي نفس الغرض قوله:

نغدو لسيّدنا نُحصي الحصى عدداً * في الخافقين ولا تُحصى فواضلُهُ [1]

فيقول في معنى البيت، أننا ننطلقُ لسيّدنا نعُدُّ الحصى في كل مكان خالٍ لا يقطُنُهُ إنسان، ولكننّا لا نستطيع أن نعُدّ أفضاله وأعماله و صفاته الحسنة. ولكن يبقى السؤال مطروحاً من هو هذا السيّد ولما لم تصل باقي الأبيات مع هذا البيت الذي لا يُسعفُهُ الجواب على هذا السؤال، وغيره من الأسئلة المُتّصلة به وبمعناه.

لا يُعتبر المدح من الأغراض التي شغلت ديك الجنّ، ولم يحتل مساحة كبيرة في شعره، إلا ماكان لازماً من تأييدٍ لبعض القضايا المحورية في حياته، كأفضلية أهل البيت وولائهم، أو ما قاله في صديقه أحمد بن علي الهاشمي. فلم يأخذ موضوع المدح طابعاً تكسبياً عند ديك الجنّ، بل كان مقترناً بأمورٍ شخصية كالولاء والمحبة.

1المصدر السابق، ص111.

*ثالثاً: الهجاء :

الهجاء فنّ من فنون الشعر العربي المعروفة، وفي اللغة معناه الشتم بالشعر وهو خلاف المدح. وقد أورد ابن منظور عدة معان لمادة "هجو" منها(هجوَ يومنا: اشتد حرُّهُ، والهجاة: الضفدع، وهجى البيت هجياً: انكشف، وهجيت عين البعير: غارت، وقال أبو زيد: الهجاء: القراءة ، وقلتُ لرجُلٍ من بني قيس: أتقرأ من القُرآن شيئاً؟ فقال: والله ما أهجو منهُ حرفاً، يُريدُ ما أقرأُ منهُ حرفاً) [1] هذا من جهة المعنى اللغوي، حيث نراه معنى مرن، ومدلوله واسع قد يشمل معان قريبة من بعضها، أما اصطلاحا فهو(أدب غنائي يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء والازدراء، وسواء في ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب والأفكار)[2] وقد لعب الهجاء في بعض العصور دورا خطيرا، وقد يُشعل حربا بين القبائل، أو تضرب بسببه الرقاب، كما في العصر الجاهلي أو يكون الهجاء داعيا إلي الخلق والإبداع كما حدث في العصر الأموي بين شعراء النقائض حيث بقيت قصائدهم دُرراً نفيسة في تاريخ الشعر العربي القديم.

1-هجاؤه أهل حمص:

هجا ديك الجن أهل حمص وقال في ذلك أبيات هي في ديوانه المطبوع و السبب في ذلك (أن خطيب أهل حمص كان يصلي علي النبي صلي الله عليه وآله وسلم، علي المنبر ثلاث مرات في خطبته، وكان أهل حمص كلهم من اليمن، لم يكن فيهم من مُضر إلا ثلاثة أبيات فتعصبوا علي الإمام، وعزلوه فقال ديك الجن الأبيات)[3] وهذه الأبيات كما في الديوان هي:

سمعوا الصلاة على النبي توالى * فتفرقوا شيعاً وقالوا:لا،لا

1ابن منظور، لسان العرب، نسّق وعلق عليه:علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 1908م، ذيل مادة هجو.
2محمد محمد حُسين، الهجاء والهجّاؤون في الجاهلية، دار النهظة العربية، ط3، بيروت، لبنان، 1970م، ص16.
3الأصفهاني، الأغاني، ج14، ص67.

ثم استمر على الصلاة إمامهم * فتحزبواْ، ورمي الرجال رجالا

يا آل حمص توقعواْ من عارها * خـزيـا يحلّ عليكم و وبـالا

شاهت وجوهكم وجوها طالما * رَغِمتْ معاطسها وساءت حالا

إن يُثنَ من صلى عليه كرامة * فالله قـد صلـي عـليـه تـعالـى [1]

يوجه الشاعر الكلام في هذه الأبيات لأهل حمص، بعد أن بدر منهم شيء مستغرب وعجيب وهو تعصّبهم علي نبيهم لمجرد اختلافهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم في النسب والقبيلة، رغم أنهم يزعمون أنّهم مسلمون متّبعون لنبيّ الإسلام، وهذا التناقُض والنّفاق الظّاهر في المُجتمع هو ما جعل ديك الجنّ مُتمرّداً على قيمه و أخلاقه، لأنّها أخلاق نفاق وانتهازية، فهُم لم يستطيعواْ أنْ يسمعُواْ إمام مسجدهم يصلّي على النّبي(ص) أكثر من مرّة، فأنكروا ذلك وتفرّقواْ جماعات وصارواْ مُختلفين وكثُر لَغَطهم، وعندما واصل الإمامُ الصلاة على النبي صلىّ اللهُ عليه وآله وسلّم ازداد تحزُّبُهُم وتصلُّبهم وتقاتلوا ورمى الّرجالُ بعضهم بعضاً، فيقول لهم ديك الجنّ: يأهل حمص إنتظرواْ خزياً وعاراً يصيبكم من سؤ عملكم الذي فعلتموه بسُؤ أدبكم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، و قبُحت وجوهكم التي طالما كانت مُرغمة ذليلة وساءت حالكم، وإنْ كان الإمام صلى على النبي(ص) تكريماً لهً وحاولتم منعهُ، فإنّ الله تعالى قد كرّمهُ واصطفاه بالصلاة عليهِ.

وهذه الصورة التي تُّدّمُها الأبيات السابقة، تُعتبرُ شاهداً على طبيعة التديُّن الزائف في مجتمع ديك الجنّ، حيث كلن الشاعر ضدّ هذا النمط القبيح المُشوّه للدّين، هذا التّدين الذي يؤمنُ بالمُتناقضات و يؤمن بالعُنف في حلّ الخلافات و الاختلاف الطبيعي الذي هو من سُنن الكون. لذلك نرى ديك الجنّ يأتي في شعره بكُلّ ما يغيضهم، مُمعِناً في التّمرُّد على هذا المُجتمع المريض الذي لا يستطيع أنْ يتصالح مع نفسه، ويكون مع الحقّ حيث كان.

1أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص106.

كما نجد الشاعر لا يكتفي بهجاء هذه الرّعية فقط، وإنّما يهجو معها حُكّامها الذين هُم من طينة رعيّتهم، فلا السائسُ في المُستوى ولا المَسوس، ولعلّ البيتين الآتيين يوضحان ذلك، حيثُ يقول:

الكلبُ فوق أُناسٍ أنت مالكهم * ونـعـمـةٌ أنت فـيـها نـقِـمُ

و إنّ دهراً عَلَوْتَ الناس كُلّهم * فيه فبالجهل و الخُذلان مُتّهمُ [1]

فهذان البيتان يوضحان مدى سخط ديك الجنّ على السُلطة في عصره، ومدى سُخريّتهِ و احتقاره للمُجتمع (فيقولُ إنّ أُناساً أنت تحكمهم أذلُّ من الكلب، والذي تُعطيه أنت ليس النِّعمة بل هو النّقمة والبؤس، وإنّ العصر الذي حكمت الناس فيهِ مُتّهمٌ بالجهل والرذالة، وإذا لم يكن الأمرُ هكذا فأنت لم تستطع أنْ تحكُمهم) [2]

ونرى مدى سهولة اللغة والألفاظ في هذين البيتين، حيثُ اقترب الشاعر في صياغتها من اللُّغة الأقرب لكُلّ العامة والناس، لأنّها في الحقيقة موجّهة لهُم و لمالكهم، وذلك حتى يسهُل حفظها و تنتشر بينهم.

2-هجاؤه ابن عمّه "أبا االطّيب":

في استمراره لهجاء هذا المجتمع الذي يعيش فيه، ورفضه له ورفض طبيعة التدين الزائفة فيه، يهجو ديك الجن ابن عمه أبا الطيب الذي يعتبر مثالا صادقا يعكس صورة المجتمع المنافق المداهن، الذي تجتمع فيه أرذل القيم والأخلاق التي يمقتها ديك الجن. ففي خمسٍ وعشرين بيتا الغرض الرئيسي منها هجاء أبا الخبيث، كما يسميه في القصيدة يفتتحها ديك الجن بذكر زائرته الحبيبة المُبكّرة المُحبة لحياة اللهو والمجون رغم أنها حبيبة خجولة،

1أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص123.

2عبد الغني أيرواني زاده وجمال طالبي،دراسات في الهجاء السياسي عند شعراء الشيعة، مجمع الذّخائر الإسلامي، قُم، إيران، 2015م، ص326.

ويذكر حاله معها وما دار بينهما، ثم يذكر الخمر وكيف كان يشربها ثم يوطّئُ إلي الهجاء بذكر يوم القيامة، وفكرة الناس عنه ثم فكرته هو عنه، وأنها مخالفة لما عند الناس وهو يذكر كل هذا في بداية القصيدة ليثير غضب ابن عمه الذي يدّعي التّقوى والورع وينهاهُ أمام الناس عن ذلك رياءً وسمعة، يقول في الأبيات:

مولاتـنـا ياغلام مُـبـتـكـره * فباكر الكـأس لي بلا نظره

غدت إلى اللهو و المجون على * أن الفتاة الحيية الخفره

لـحبـها لاعـجٌ وبـي حـرقٌ * مطويّة في الحشا و مُنتشره

مـا ذقت منـها سـوى مُقبّلها * وضـمِّ تلك الفروع مُـنـحدره

وانـتـهرتـنـي فمُتـتّ من فرق * يا حسنها في الرضا ومُنتهره

ثم انـثـنـت سَورة الـخمار بنا * خلال تـلك الـغدائـر الخمره

و لـيـلـة أشـرفـت بـكـلـكـلها * عـلـيّ كـالطيلسان معتجره

معرفتي بالـصـواب مـعرفة * غراء! مـا عـرفـتـم النـكـرة [1]

وبعد هذه الأبيات وما تناوله فيها من موضوع الزائرة الحبيبة، ثم ذكر يوم القيامة و اختلاف مفهومه عند الناس وعنده، يبدأ بذكر ابن عمه مُكَنّ عنه بأبي الخبيث، حيث ينطلق في هجائه هجاء شديدا موردا هجاءً مُتعلّقا بالجانب الصّفاتي الظاهري، فديك الجن يعجب من ابن عمه الخبيث الذي ينطلق في الطرقات مرتديا ثيابا وسخة غير نظيفة. كما أن لابن عمه رأسا قاسية صلبة تكل المعاول عنها فلا تُحدث فيها شيئا، مثلها مثل الصخور الصلبة إذا رُميت بها، بل لو أرادت البغال أن تؤثّر في هذه الرأس عن طريق رفسها لأصاب قوائمها الفتور والضعف، بل أكثر من ذلك المجانيق التي تهد الحصون والقلاع لو رميت بها رأسه

1أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص68،69.

لعجزت أن تكسرها[وإن رمَت آلاف الحجارة و الصخور الضخمة الصلبة. يقول ديك الجن أُنظُر إلى موقع المقص من الشعر في أعلى رأسه، ترى مثل الحجر العريض الضخم الذي لو ضربناه بالمطارق المصنوعة بأيادي المهرة لضعفت أكف الضاربين و تكسرت هذه المطارق.

والأبيات التي تصور المعاني السابقة هي الأبيات التالية:

يا عجباً من أبي الخبيث ومن * سروجه في البقائر الدثره

يحمل رأسًا تنبو المعاول عن * صفحته و الجلامد الوعره

لو البغال الصلب ارتقت سنداً * فيـه لمَدّتْ قوائماً خدره

وما المجانيق فيه مغنية * ألف تسامى وألفٌ مُنكدره

إذن لراحت أكُفٌ جلتهم * كليلة والأداة منكسره [1]

و يظهر من الأبيات أن الشاعر يريد أن يوضح مدى تعصب ابن عمه وتشدده، وانه إنسان لا يعتمد الحوار والكلام والعقلاني المنطقي فهو لا يدع مجالا لذلك، لأنّ الألفاظ المستعملة في وصفه ابن عمه و رأسه تُوحي بتلك المعاني الشديدة التي تجعل منه إنساناً جلفاً غليظاً، مثل:تنبو المعاول، الجلامد الوعرة، الصلب، المجانيق، منكدرة، العجرة...إخ.

ثم بعد ذلك يشرع ديك الجن بهجاء ابن عمه عن طريق ذكر صفاته الفعلية وأعماله غير المحببة، وغير ذلك من صفات، فيقول:

كم طربات أفسدتهن و كم * صفوة عيش غادرتها كدره

وكم إذا ما رأوك يا ملك المو * ت لهم أنامل خصره

1المصدر السابق، ص69.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

وكم لهُم دعوةً عليك وكم * قذفـة أُمّ شـنـعاء مُشـتـهـره

كريمةٍ لُؤمكَ اسـتخفّ بـها * فنالها بالمـثالبِ الأشــرِه

قِفُواْ على رحْلِهِ تروا عجباً * بالجهل يحكي طرائف البُصره

يا كُلّ مَنْـي وكُـتلّ طـالعةٍ * نحسٍ، ويا كُلّ ساعة عسـرِه

سُبحان من يُمسِكُ السّماء على * الأرض و فيها أخلاقك القذرة [1]

بعد أنْ ركّز ديك الجنّ في الأبيات السابقة على ذكر صفات ابن عمه الخلْقيّة، يتوجّه في هذه الأبيات إلى إظهار الصّفات الخُلُقيّة المعنوية، والتّركيز على الأفعال المشينة لأبي الخبيث كما يُسمّيه؛ فيذكُرُ أنّهُ كان مُفسِداً للمجالس المُحبّبة مُكَدّراً لصفائها، وإذا رآهُ الجالسون تبدّلت حالهم وكأنّهُم رأواْ ملَك الموت، حتى أنّ رؤوس أصابعهم تبرد كما رؤوس أصابع الميّت. فهو هاهُنا هادمُ الّذّات ومُفرّقُ الجماعات، مثله مثل ملَك الموت تماماً. حتى أنّ الحاضرين في المجلس يدعون عليه، بل ينالون من أُمّه و يشتُمونها و هي لا تستحقُّ ذلك، وكُلّ هذا أصابها بسبب أخلاق ابنها المعيبة و تدخُّلِهِ فيما لا يعنيه. ويقول ديك الجنّ توجّهواْ إلى بيته، تجدون هُناك عجباً؛ حيثُ يتكلّم بطرائف تُنبئُ عن جهله، وهو يرى نفسه من الخبراء،(يا أهل كلّ مُصيبةٍ، وكُلّ طالعٍ نحسٍ وشُؤم وكل ساعة ألم وحسرة، سُبحان الله كيف لا يُطبقُ السّماء على الأرض؟ وفي الارض أخلاقك القذرة)[2]

ولمْ تأتِ هذه القصيدة من ديك الجنّ، إلاّ بعد أنْ ملّ تدخُّلات ابن عمّه و ضاق به ذرعاً، لكن يبدو أنّ شاعرنا كان صادقاً في أغلب ما ذهب إليه، خاصةً بعد المكيدة التي أدّت إلى قتل الشاعر لزوجته، حيث ظهر معدن أبي الطيب الحقيقي الذي كان يُخفيه وراء

1المصدر السابق، ص70.

2المصدر نفسه، ص ن.

تديُّنِهِ الظاهر. والغريب أنّ مثل هؤلاء الناس موجودون بكثرة في واقعنا الحاضر، فنجدهم يتّخذون من الدين مطيّة للوصول إلى مُختلف مآربهم، وتحقيق كثير من مصالحهم الخاصة.

وشعر ديك الجنّ في الهجاء ليس شعراً كثيراً، لأنّ دواعيه وأسبابه لا تتوفر عند ديك الجنّ، فمعروف عنه أنّه لم يتصدى للشعراء أو يشاكسهم، إلا من هاجمه أو تعرّض له أو لقضية حسّاسة تعنيه. فهو بالأصالة مسالم إلا أن يُستثار، مثلما ورد في النّماذج الماضية كهجائه أهل حمص بسبب تعصُّبهم على نبيّهم، أو هجائه ابن عمه الذي كان مرائياً متشدّقاً مُتعرّضاً له، كما كان سبباً في وفاة زوجته "ورد".

*رابعاً : الفخر :

كان لديك الجنّ نصيبٌ من شعر الفخر والاعتداد بالنّفس، وقد احتوى ديوانه على عدد من القصائد و المقطوعات في هذا الغرض، و(الفخرُ فنٌّ من فنون الشّعر الغنائي، يتغنى فيه الشاعرُ بنفسه أو بقومه انطلاقاً من حُبّ الذات كنزعة طبيعية، ولم يكُن الفخر هدفاً بحدّ ذاته، لكنّهُ كان وسيلة لرسم صورة عن النّفس ليخافها الأعداء، فتجعلهم يتردّدُون طويلاً قبل التّعرُّض للشاعر أو لقبيلته. إذن الفخر كان لهُ أكثر من معنى وأكثر من دور، فبالإضافة إلى التصاقه الشّديد بالذات الإنسانية، يُعتبرُ حُدوداً تمنع الأعداء من التّقدُّم.)[1] وهذا ما جعل لهذا النُّوع من الشّعر أهميّة بالغة في شعرنا العربي القديم.

1-فخره بقبيلته كلب :

يقول ديك الجنّ في قبيلته "كلب" مُفتخراً :

كلبٌ قبيلي وكلبٌ خير من ولدتْ * حوّاء من عربٍ غُرٍ ومن عجمِ

و عيرتنا و ما إنْ طُلّ في أحُـدٍ * وصلّ في مؤتة والـدِّينُ لم يـرمِ

غداة مؤتـة والإشـراكُ مُكـتـهِـلٌ * والدِّيـنُ أمـرد لم يـيفع فيحـتـلـمِ

و يوم صفّين من بعد الخريبة كم * دمٍ أُطِلَّ لنصر الدّين إثر دمِ

و في الفُرات فداء السّبط قد تُرِكَتْ *أشلاؤنا في الوغى لحماًعلى وضمِ [2]

فديك الجنّ في هذه القصيدة يُبدي افتخارهُ بانتمائهِ لقبيلة "كلب"، وبني كلب عندهُ خيرُ البشر من عرب أقحاح ومن غيرهم من باقي الأجناس. ويرُدُّ على من عيّرهُ، بذكر مآثرِ قبيلتهِ في أيّام الحروب المشهودة "كأُحُد" و "مؤتة" حين كان الشِّركُ يلفِظُ أنفاسهُ الأخيرة و

1سراج الدين محمد، الفخر في الشّعر العربي، دار الرّاتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص5.

2أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص126.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

الإسلامُ في بداياته و نُشوئهِ، هذا في عهد النّبوة حيث ساهمت القبيلة في نشر الإسلام و تقويته. وبعد ذلك في معارك مشهورة "كصفّين" و "الجمل" حينما أهرقنا الدّماء للننصر دين الحقّ، أمّا في معركة الطّفّ بكربلاء عندما ماتت التقوى وانتُقِمَ من الحقّ، قد افتدينا الحُسين بن عليّ وبقيت أشلاؤنا في ساحة الحرب، كأنّها لحم على وضم.

ويظهر من الأبيات السّالفة توظيف الشاعر لمعرفته التاريخية بالأحداث و الوقائع في الفخر بقبيلته،و التي يشعر بالعزّ بالإنتماء إليها؛ حيث تاريخُها حافلٌ بالمآثر والفخَار، وهو مُستمرّ على هذا الخط المُمتد عبر تاريخ قبيلته التي يدينُ لها بالولاء.

يقول في الأبيات المُوالية :

إن تعبسي لدمٍ منا هُـريـق بـها * فقـد حقنّا دم الإسـلامِ فابتسمي

فاقعُد وقُم عالماً أن لو تطوّقنا * بـغيـر أحمد لم تـقعـد ولـم تقُمِ

أقـام عـليـهم حصن مـكـرمـة * يــرتــجُّ بـالــنـقمـى و بالنّـعـمِ

إذا غدت خيلهم تخدي بهم خببا * لنجدة عدَت الآجال في الخذمِ

كم عرّضواْ أيدياً بيضاء مكرّمة * للعُدم من طول ما انتاشواْ من العَدَمِ

أسْدٌ يرون الرّدى المُفضي بأنفُسهم * إلى الثّرى عُمراً يُفضي إلى الهرمِ [1]

فيستمرُّ ديك الجنّ في تعداد مآثر قبيله، وكيف كانت حاقنة لدم الإسلام عبر إهراق دمها، وأنّ ذلك مُرتبط بإيمان راسخ بالنّبي(ص) وما أتى بهِ، حيثُ أقام حصناً مكرمّاً عظيماً ترتجُ جوانبه العظيمة بالنّقمة والنعمة، وإذا أسرعت الخيلُ بهم لنجدة مستغيث، تخطّت سرعتها سرعة نهاية الأعمار، وهم إذا قدّمواْ المُساعدات يُغنواْ الناس و ينتشلونهم من الفاقة،

1المصدر السابق، ص127.

ليفتقرواْ هم مؤثرين الناس على أنفُسهم بذلك. وهُم شُجعان كالأُسُود لا يخافون الموت إذا أودى بهم إلى القُبُور، بل هو في الحقيقة مفضٍ إلى البقاء والخُلود.

ونرى في هده القصيدة كيف هي طبيعة الألفاظ و التعابير التي تتماشى ونوع الموضوع المطروق فيها، وهو الفخر حيثُ تُذكر الإنجازات في الحُروب و المواقع الكُبرى، فنجد التعابير المُتّسقة مع طبيعة الموضوع مثل (خير من ولدت حواء، طُلّ في أُحُد و طلّ في مؤتة، لنصر الدين إثر دم، فداء السبط، أشلاؤنا في الوغى، لحما على وضم، آذنت صعقات الحقّ بالنّقم، هريق بها، أقام حصنٌ عليهم، يرتجُّ طوداهُ، غدت خيلهم، أُسْدٌ يرون الرّدى،...) وهذه التّعابير كما يظهر توحي بالقُوّة والبطش والفداء والنّجدة، وغيرها من المعاني التي تتوافق مع الغرض المنشود في القصيدة، وهو الافتخار بالقبيلة وعدّ مآثرها. وكُلُّ هذا مشفوع بأدلة واقعية تاريخية، وهو ما يعكسُ ثقافة الشاعر اللُّغوية والتاريخية ومدى تمكُّنِهِ من ناصية اللّغة والتّعبير.

2-فخرُهُ بنفسهِ :

ونجد لديك الجنّ نماذج شعرية في الفخر بنفسه، منها هذه القصيدة التي يقول فيها:

إنّــي بـبـابـك لا ودّي يُـقـرّبُـــنـي * ولا أبــي شـفـعٌ عـنـدي ولا نسبي

إنْ كان عرفك مذخور لذي سبب * فاضمُم يديك على حرّ أخي سبب

أو كُـنـتُ وافَقْتُهُ يـومـاً على نسب * فاضمُم يديك فإني لستُ بالـعربي

إنّي امرؤٌ بازلٌ فـي ذروتي شرفٌ * لـقـيصر و لكسرى محتدي و أبي

حرفٌ أمونٌ و رأيٌ غيرٌ مشتَرَكِ * وصارم من سيوف الهند ذو شَطَبِ [1]

1المصدر السابق، ص 40.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

تظهرُ هذه القصيدة فخراً مبالغاً فيه لديك الجنّ بنفسه، حتى أنّهُ جاوز الواقع والحقيقة، وهُنا اختلط الأمرُ على كثيرين وحكموا بأنّ ديك الجنّ شعوبي وليس هو بالعربي كذلك، استناداً للأبيات المذكورة في هذه القصيدة. وفي هذا تسرُّع في إطلاق الأحكام دون تحقُّق و تمحيص ونظر، أولاً لأن لهذه القصيدة مناسبة معروفة سنأتي على ذكرها، قد ذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق، وثانياً لأنّنا كما أسلفنا سابقاً أنّ ديك الجنّ كان متمرداً ورافضاً لكثير من قيم مُجتمعهِ، وثالثاً أنّ ما استدل به الذين يُخرجونهُ من دائرة العرب إنما هو مُتهالك مُتناقض حيثُ أنّهُ يدّعي في الأبيات انتسابهُ إلى كسرى أي انّهُ فارسي، وإلى قيصر وهذا يعني أنهُ رومي، لكن إلى أيّ القومين ينتسب؟ هُم لا يستطيعون التّحديد، لأنّ ديك الجنّ أساساً عربي، وما قال الذي قالهُ، إلا نكاية بالسامع و تفاخُراً بنفسهِ وقومه، وإشارة إلى تاريخ أجداده التّليد، وكيف كانواْ على اتصال بحضارات سابقة معروفة. وعندما سنذكُرُ القصة، سوف يتّضحُ الأمرُ جليّاً لأنّ قبيلة الشاعر معروفة.

أمّا في الأبيات الموالية في القصيدة فيقول:

خوّاضُ ليلٍ تهابُ الجـنُّ لُـجّـتَهُ * وينطوي جيشُها عن جيشه اللّجِبِ

والله ربّ النبي المُصطفى قسماً * برّاً و حقّ منىً والبيت ذي الحجب

ما الشـنفرى و سليك في مُـغيّـبة * إلاّ رضيعـا لبان في حِمى أشبِ

والخمسة الغُرّ أصحابُ الكساء معاً * خيرُ البريّة من عُجمٍ ومن عربِ

ما شدة الحرص من شأني ولا طلبي * ولا المكاسبُ من همّي ولا أربي [1]

فهو هنا يذكر صفاته ويفخر بها، ويأتي على ذكر شاعرين جاهليين من الصعاليك، وفي هذا إشارة إلى تمرُّدِهِ مثلما كان الشاعران متمرّدين و رافضين لقوانين القبيلة وقيمها،

1المصدر السابق، ص41.

وهذا ما يؤكّد ما ذهبنا إليه من رأي آنفاً، ثُمّ إنّهُ بعد ذلك أقسم بربّ النبي المصطفى و بمنى وبالكعبة الشّريفة وبأصحاب الكساء الخمسة الذين هُم خيرُ الخلق كافة، من عُرب و من عجم بأنّهُ ليس جشعاً و لا طمّاعاً وليس همُّهُ المكاسب ولا غايتُهُ. فهل هذا القَسَم وهذا التّفضيل لخير العرب والعجم يأتي من شُعوبي ليس بعربي.

أمّا القصة التي ذكرها ابن عساكر وهي سياق هذه القصيدة تقول (أنّهُ أقبل إلى دمشق قاصداً واليها "أحمد بن المُدبّر" فأقام ببابه أيّاماً، ولكنّ الوالي يحجبُه ولا يصِله بشيء، فيدفعُ ديك الجنّ إلى الوالي قصيدته التي يقولُ في مطلعها:

إنّي ببابك لا ودّي يُقرّبُني * ولا أبي شافع بي ولا نسبي

ولقد ردّ الوالي على ديك الجنّ بشعر عابث، فغضب الشاعر وأقسم أن يُمزّقَ عرضَ الوالي، ولكن حامل الرّسالة هدّأ من ثورتهِ، و أعلمهُ أنّ الأمير يُمازحُهُ، ثُمّ استقبلهُ "ابن المُدبّر"، وخلع عليه، وعاشرهُ وأحسن إليه وتتابعت صلاته.) [1]

فهذه الرّواية تُميطُ لثام ما أُبهِمَ من معانٍ وردت فيها، حيثُ أنّ المقام يوضّحُ ما المُراد من وراء تلك الأبيات، كما أنّ فخرهُ فيها يدُلُّ على أنهُ كان مُعتدّاً بنفسِهِ وصاحب أنَفَة وعزّة، لم يمنعهُ وجودهُ بباب الأمير من ذاك الفخار و الاعتداد.

ولديك الجنّ أبيات أخرى ونماذج من الفخر في ديوانهِ لم نأتِ على ذكرها، لأنّ المُراد هنا المثال لا الحصْر. وهذا النوع من الشعر يُنبئ عن طبيعة نفس الشاعر التي تمتلئ عزّة وأنَفَةً، حيثُ يظهرُ هذا جليّاً في أشعاره التي أوردناها في هذا الباب. وهو لا يختلف عن الشُّعراء الجاهليين في افتخاره بقبيلته وبنفسه في المواضع المناسبة لذلك.

1ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج42، ص237،238.

*خامساً: الغَزَل :

يعد الغزل من أكثر الأغراض طرقاً من طرف الشعراء لارتباطه بالتجربة الذاتية، وهو من أقدمها و يكاد لا يخلو شعر شاعر من غزل، وقد يُسمى في كتب الأدب و النقد نسيباً أو تشبيباً وهو مرتبط بالطبيعة الإنسانية حيث لا يمكن للنفس البشرية ألاَ تُحبَّ أو تتعشق نظيرتها و(النسيب ذكر خلق النساء و أخلاقهن، و تصرف أحوال الهوى به معهن، وقد يذهب على قوم أيضًا موضع الفرق بين النسيب و الغزل و الفرق بينهما إن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من اجله، فكان النسيب ذكر الغزل و الغزل المعنى نفسه) [1] ولديك الجن في هذا الباب نصيب واخر من الحظ، و سهم عظيم من اللحظ و قد تغزل شاعرنا بالمذكر و المؤنث.

1-التغزُّل بالمؤنث:

يقول ديك الجن مُنكرة عليه تباكيه الكاذب في الحب:

و قـائـلة وقـد بـصرت بـدمع * على الخدين منحدر سكوب

أتكذب في البكاء؟ و أنت خلوٌ * قـديـماً مـا جَسرتَ الذنوب

قميصك و الذنوب تجول فيه * و قلبك ليس بالقلب الكئيب

شبيه قميص يُوسُف حين جاؤوا * على لـباسـه بـدم كـذوب [2]

فينقل ديك الجن في هذه الأبيات صورة حاله مع من أنكرت عليه تباكيه في الحب عبر ما جرى بينهما، حيث رأت دمعه منسكبٌ على خديه، فقالت له إنك كاذب في بُكائكَ هذا ولا صلةَ بينك وبين الحب: فقلبك خالٍ منهُ، و كثيراً ما كنت في ما مضى جريئاً في

1قُدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكُتُب العلمية، بيروت، لبنان، ص134.

2أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص43.

الذنوب و إتيانها، و في هذا المقام قميصك مثل قميص يوسف، قميصك مبلل بدمع كاذب وقميص يوسف ملوث بدمٍ كذوب عندما جاء به إخوته إلى أبيهم فالحب برئ منك كما كان الذئب برئ من يوسف.

وهنا يظهر في الأبيات كيف أن الشاعر يستعمل الرموز الدينية، من اجل إيصال المعنى إلى المتلقي حتى تسهل عملية الإدراك، بضرب الأمثلة الشهيرة والمعروفة بل والمنقوشة في الوجدان العام للناس، وبتجلي في هذا الموقف التَّناص مع النص القرآني في قصة يوسف عليه السلام، و نلاحظ أن ديك الجن كثيراً ما كان يستعمل التّناص مع القرآن و السنة النبوية، في كثير من أشعاره كما سبق وتناولنا ذلك وشاهدناه في أمثلة سابقة و في مواضيع مختلفة، و هو ما يعكس ثقافة الشاعر و قدرته على توظيف الرموز و النصوص الدينية في أعماله الإبداعية الفنية. ويقول ديك الجن في أبيات أخرى:

ودعتها لفراق فاشتكت كبدي * إذ شَبَّكَت يدها من لوعة بيدي

وحاذرتْ أَعيُنَ الواشين فانصرفتْ * تَعَضُّ من غيظها العُنّآب بالبردِ

فكان أول عهد العين يوم نَأتْ * بالدمع آخر عهد القلب بالجلدِ

جسّ الطبيب يدي جهلاً فقلتُ له * إن المحبة في قلبي فخلّ يدي [1]

نجد في هذه الأبيات أنّ ديك الجنّ يصف ما كان بينه و بين حبيبته وما كان من حالهما،فنلمس محاولة لتصوير الشعور مع سرد لأحداث وقعت، و الأمر هنا أشبه بقصة شعرية ينقلها شاعرنا في ثوب جميل من الألفاظ و التعابير الموحية المعبرة.

فيقول ديك الجنّ أنه لما كان مع حبيبته في لقاء، حان وقت الفراق بعد حين فشبكت يدها بيده مُلتاعة متوجعة، عند ذلك تألمت كبده و اشتكت مرارة الفراق و اللوعة ثم انصرفت

1المصدر السابق، ص64.

الحبيبة و هي تحاذر الواشين، خائفةً من رؤيتهم لها عاضّةً شفتيها بأسنانها غيضاً، فكان يوم الفراق هذا بداية العين بالبكاء لأنها ستُحرم رؤية الحبيبة، ونهاية عهد القلب بالصبر لأنه لن يحتمل هذا الفراق، فتغيّرت حاله حتى زاره الطبيب و جسّ يده من جهله ليعرف سبب المرض، فخاطبه الشاعر بقوله: إنّ المَحبة هي التي وراء مرضي،و الحب في القلب فاترك يدي و افحصهُ.

و في الأبيات جماليات فنية استعملها الشاعر كقوله(فاشتكت كبدي) و شبه هنا كبده بالإنسان الذي يشتكى كناية عن مدى لوعته وتألم كبده، و كذلك في البيت الثاني يوجد تشبيه رائع حيث شبه شيئين بشيئين آخرين في نفس التعبير في قوله:(تعضُّ من غيضها العُنّاب بالبرد) فشبه الشفاه بالعُنّاب،و شبه الأسنان بالبَرَدِ لمناسبة تشابه الألوان بينهما أولاً، ثم الشكل ثانياً، وفي هذا تصوير رائق جميل يزيد من إيضاح المعنى و الصورة التي يريد الشاعر أن يوصلها لذهن المتلقي، فبمجرد قراءة البيت ترتسم صورة الحبيبة و هي تعضّ على شفتها في ذهن القارئ، و هذا يُنبِئُ عن مدى تمكُّن الشاعر اللغوي و تطويعه لمختلف الأساليب الفنية و التعبيرية لتبليغ المعاني الكامنة في نفسه.

يقول ديك الجن في أبيات جميلة يمتزج فيها وصفه للخمر مع وصفه للمحبوب مُتغزلاً في تعبير رائع، كأنما يرسم بالكلمات لوحات تشكيلية زاهية:

و قـهـوةٍ كـوكـبـها يـزهـر * ينفح منها المسك و العنبر

ورديـة يحـمـلها مـثـلـها * كـأنـمـا مـن خـده تـعـصر

مُهَفهَفٌ لم يبتسم ضاحكاً * مذ كـان إلا كـسد الجوهـر [1]

فهو هنا يبتدئ بذكر صفات الخمر و كيف أنها مضيئة في كأس مثل كوكب ساطع، فيرسم بهذا التشبيه لوحة بصرية تجعل السامع متحفز الحاسة البصرية، حيث يستحضر من

1المصدر السابق، ص72.

مخيلته ما تمّ التقاطه من صور بصرية في سابق حياته، ليربط العلاقة بين المشبه و المشبه به، ثم يُثنّي برسم لوحةٍ أخرى، وهذه المرّة تُحفّزُ حاسّةً إنسانية أخرى، هي حاسّة الشّم في قولهِ (ينفحُ منها المسكُ و العنبرُ)، حيثُ يجعلُ المُتلقّي مُجدّداً يستحضر من ذاكرته ما تمّ جمعه و تخزينهُ من روائح وعُطور، في مُحاولة منهُ للجمع بين الصُّورتين، البصريّة و الشّمّيّة حتى لكأنّهُ يرى ويشم ما يصفُهُ الشاعر، وهنا تتجلى موهبة المُبدع و قُدرتُهُ على التصوير. ثُمَّ يلجُ في البيت إلى دائرة وصف المحبوب و التّغزُّل به في سلاسة،و حُسن تخلُّص رائعين، فيصفُ الخمرة بلونها الوردي و يقول أنّ حاملها مثلها، بل إنّ هذه الخمرة الموصوفة إنّما هي معصورة من خدّه، فيصيرُ المحبوب بهذا أصلاً و الخمرة هي الفرع، بعد أن كانت هي المُبتدأ، فيظهرُ حُسن الانتقال من موضوع إلى موضوع، دون أن يُشعِر السامع ليجد نفسهُ في رحاب المحبوب، مع وصف قدِّهِ الممشُوق و مبسمِهِ الضاحك الذي يكشفُ عن أسنانٍ جميلة تُنسي بظُهورها اللآلئ والجواهر.

2-التغزُّل بالمُذكّر:

إنّ الكثير من المواضيع والأحداث المطروقة في قصائد الشُّعراء، لا تكُونُ دائماً نقلاً لواقعٍ حقيقيّ، فالشاعرُ فنّان و للفنّان نظرةً غيرَ نظرةِ غيرهِ من النّاس، وقد يزيد أو ينقص أو يختلق أشياء لا تمُتُّ للواقع بصلة، لأسباب مختلفة على حسب وضع الشاعر و رؤيتِهِ، والظروف المُحيطة به. ويصدُقُ هذا على الغَزَلِ عامةً و التغزُّل بالمُذكّر خاصّة؛ فكثيرٌ من الشُّعراء قد تأتي قصائدهم في هذا الباب، مُتْرعةً بالخلاعة والمُجُون، وفي واقع حالهم هُمْ أبعدُ ما يكُون عن ذلك. و قد قال الله عزّ وجلّ في حقّهم (وأنّهم يقولون ما لا يفعلُون) [1]، فليس القولُ دوماً مطابق للفعل، وقد عرف هذا كثير من الدّارسين و النّقاد القُدامى.

ومن هؤلاء "ابن المُعتز" الذي يقول فيهم (هُم جماعة كانواْ يصفون أنفُسهُم بضدِّ ما هُم عليه حتى اشتُهرواْ بذلك، منهم أبو نُواس، كان يُكثِرُ ذكر اللّواط و يتحلى بهِ وهو أزنى

1سورة الشُعراء، الآية226.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

من قرد، و أبو حكيمة كان يصفُ نفسهُ بالعُنّة و العجزِ عن النّكاح وكان يُقالُ: إنّهُ يُقصّرُ عنهُ التيس، و جحشويه كان يصفُ نفسهُ بالأُبنة و كان ينزو على الحمير فضلاً عن غيرها، وابن حازم يصفُ نفسهُ بالقناعة والنّزاهة وكان احرص من الكلب.) [1]، فهذا ابن المُعتزّ يُؤكّد على أنّه ليس كلّ ما قالوه مُطابقٌ لأفعالهم، فهُم في النّهاية قد يتقوّلون حتى على أنفُسهم، و هو ما عرفهُ القُدماء و فهِموهُ و نقلُوهُ، بل نقلواْ حتى الأسباب التي أدّت إلى ذلك في كثير من الأحيان. يقول الثّعالبي: (و أيرُ أبي حكيمة "راشد بن إسحاق" في كثرة ما قال في مدحهِ سالفاً، وذمّهُ بهِ آنفاً و وصفه بالضعف و الوهن والفشل يجري مجرى المثل، وينخرط في سلك طيلسان بن حرب، وضرطة وهب، و حمار طيّاب، وشاة سعيد، و لقد استفرغ شعره في ذلك، وأتى بالنّوادر و المُلح السّوائر. ويُقال: إنّهُ كان يكتُبُ لإسحاق بن إبراهيم المصعبي، فاتّهمهُ بغُلامٍ لهُ فأخذَ في هذا الفنّ من الشّعر تنزيهاً لنفسه عن التُّهمة حتى صار عادة لهُ.)[2]

وهذا مثال آخر يُبيّنُ و يدعم ما ذهبنا إليه سابقاً في حُكمنا على هذا النوع من المواضيع، والأغراض التي وردت عن هؤلاء الشُّعراء.

وشاعرنا ديك الجنّ لا يختلفُ عن هؤلاء الجماعة من الشعراء، في دواعي و أسباب قوله في هذا المضمار من الفنّ، فضلاً عن ما ذكرناهُ آنفاً من النّزعة التّمرُّديّة القوية التي يتبنّاها شاعرنا، ورفضه للقيم السّائدة في مُجتمعه.

يقولُ ديك الجنّ في هذا الباب، وهو باب أثار الكثير من اللّغط وأسال حبراً جمّا في الماضي والحاضر:

أعشقُ المُرد و النّكاريش و الشّيب * وعندي مثل البنين البنات

1إبراهيم النّجّار، شعراء عبّاسيُّون منسيّون، مسالك الرّثاء والتفجّع، القسم الثاني، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، نقلاً عن ابن المُعتز في طبقاته.

2أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المُضاف و المنسوب، ص226.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

حـدُّ مـا يُشتـهى ويُـعشـقُ عنـدي * حيـوان تـحِـلُّ فـيـه الحياة [1]

فهو هنا يعشق الشباب المُرد بغير لحى وكذلك ذوو اللِّحى، بل و الشُّيُوخ و لا يُفرّق في العشق بين الصبيان و البنات. وكذلك كل موجود تسري فيه الحياة هو عندهُ أهلٌ لأن يُعشق و يُشتهى، فالغاية عندهُ من خلال هذين البيتين هي الوصول إلى اللّذّة بأيّة وسيلة كانت، المُهم أن يكون محلّ هذه اللّذة حيّ، ثُمّ لا فرق بعد ذلك في نوع هذا الحيّ وليتّخذ أيّ شكل كان فهو معشوقٌ مُشتهى.

ويقولُ في أبيات أخرى تُشابه الأبيات السّابقة في معناها:

حدُّ ما يُنكـحُ عـنـدي * حـيـوانٌ فـيـه روح

أنـا من قـولـي ملـيحٌ * أو قـبيـح مـسـتريـح

كُلّ م يمشي على وجـ * ـه الثّرى عندي مليح [2]

ومضمون الأبيات معروفٌ ظاهر، لكن ما يجدر الإشارة إليه هو أنّ ديك الجنّ كان من المُعارضين للسُّلطة العباسيّة، ومن الموالين لأهل البيت(ع)، فرُبّما كان يُريد أن يُعطي لنفسه صورة غير الصُّورة الحقيقية التي هو عليها، حتى يتخلّص من ملاحقة السُّلطة له و تصفيته مثلما كانت تفعل مع غيره من المُعارضين، سواء الأشخاص أو التنظيمات؛ فأشاع عن نفسه صورة الشاعر العابث الماجن السّكِّير، وهو أمرٌ يتماشى و طبيعة السّياق التاريخي في عصره.

وممّن أنشد ديك الجنّ فيه شعراً غلام من أهل حمص، يُقال له "بكر بن دِهمرد" وفي بعض المصادر أنّ "بكراً" هذا غُلامه، وقد قال فيه شعراً كثيراً نُوردُ مثالاً منه، حيثُ يقولُ فيه ديك الجنّ:

1أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص49.

2المصدر نفسه، ص56.

قُل لهضيم الكشح مياسِ * انتقَضَ العهدُ من النّاسِ

يا طلعة الآس التي لم تمِدْ * إلاّ أذلّتْ قُضُبَ الآسِ

وثِقتَ بالكأس وشُرّابها * و حتفُ أمثالك في الكاس

و دير ميماس و يا بُعدما * بين مُغيثيك و ميماسِ

تقطيعُ أنفاسك في إثرهم * و مَلكِهِم قطّع أنفاسي

لا بأس مولاي على أنّها * نهاية المكروهِ و الباس

هي اللّيالي ولها دُولةٌ * و وحشة من بعد إيناس

بيْنا أنافت وعَلَتْ بالفتى * إذْ قيل حطّتهُ على الرّاس

فالْهُ ودعْ أحاديثهُم * سيُصبحُ الذّاكِرُ كالنَّاسي [1]

وقد قال شاعرُنا هذه القصيدة في "بكر بن دهمرد"، بسبب ما لحقهُ من خبر أنّهُ خرج مع جماعة من الخُلعاء العابثين من أهل حمص، إلى مُنتزهٍ مشهور بها يُسمّى "دير ميماس" – وهو مذكور في القصيدة – ثُمّ تحايلواْ عليهِ و أسكروهُ حتى ثمِلَ، لأنّهُ كان معروفاً بالتّمنُّع الشّديد، فلمّا بلغ به السُّكرُ مبلغاً كبيراً، نالواْ منه جميعاً، واحداً واحداً.

ويعتبر هذا النوع من الشعر، بشقّيه–المؤنث والمُذكّر– مثار لغط كبير، في تُراثنا القديم وفي وقتنا الحالي؛ لارتباطه بالدّين والأخلاق، حيث يُعتبرُ مرفوضاً من منظورهما، فهو يخدشُ الحياء و يُفسدُ السُّلوك. لكن الواقف مكان المُبدع لا يبدو له المشهد هكذا، وقد حاولنا إزالة هذا اللُبس الذي يقع فيه الكثير من خلال الحُكم على هذا النوع من الشعر، وضربنا أمثلة على ذلك و هو كافٍ في هذا المقام.

1أنطوان القوّال، المصدر السّابق، ص56.

*سادساً: شعرُ الخمرة :

يُعتبرُ شعر الخمرة فنّاً قائماً بذاتهِ، فقد شهد تطوُّراً كبيراً في العصر العباسيّ، ويرى الكثير من الدّارسين أنّ شُرب الخمر وتعاطيها بكثرة و انتشارها في المُجتمع العبّاسي، مُرتبط بتأثير العُنصر الفارسي ودخوله في الحياة الاجتماعية بشكل عام، وبهذا أثّر الفُرسُ في العرب بأنْ تغيّرت أخلاقهم و قيمهم المعروفة عنهُم، وأنّ السبب في هذا الإفساد هو هذا التّدخُّل الفارسي، غير أنّ دارس التاريخ الأدبيّ عند العرب يجدُ أنّ الخمر لم تكُن غائبة عن شعرهم وفنّهم بل وحياتهم. فوجودها في الشّعر مثلاً معروف مشهور مُنذُ العصر الجاهلي، وقد كان شُعراء كبار معروفون بوصفها، كالأعشى الأكبر"ميمون بن قيس" و غيره من الشُّعراء. وهاهو "طرفة بن العبد البكري" مثلاً، يقولُ في مُعلّقتهِ:

ولولا ثلاثٌ هُنّ من عيشة الفتى * و جدّك لم أحفل متى قام عُوّدي

فمنهُنّ سبقي العاذلات بشربة * كُميت متى تُعلُّ بالماء تُزْبَدِ

وكرّي إذا نادى المتضافُ مُحنِّباً * كسيد الغضا نبّهتُهُ المُتورّدِ

و تقصيرُ يوم الدّجن و الدّجُن مُعجِبٌ * ببَهْكَنَةٍ تحت الطِّرافِ المُعمّدِ [1]

"فطرفة بن العبد" يُصوّر لنا كيف هي حياته، وكيف هي لذّة الفتى الكريم، حيثُ يراها في ثلاث مُتع؛ الأولى شربة من الخمر كُميت اللّون إذا صُبّ الماء عليها أزبدت. والثانية إغاثته المُستغيث، و إعانتهُ اللّاجئ إليه. أمّ الخصلة الثالثة فالتّمتّع بامرأة ناعمة حسنة الخلق تحت بيت مرفوع بالعمد يوم الدّجن.

فحضور المُتعة و التّلذُّذ بالخمر والنساء موجود في شعرنا العربي مُنذُ القِدُم، لكن الفرق يكمن في كون أنّ الخمرة الأولى هي خمرة البادية، والثانية هي خمرة المدينة، والبون

1أحمد بن الحُسين الزّوزني، شرح المُعلّقات السّبع، 2013م، ص142،143.

بينهما واسع مثلما هو بين العصر الجاهلي و العصر العباسي. أمّا قول النُّقاد السابق فلا يُعرفُ دافعُهُ إلّا أنْ يكون تعصُّباً للعرب على الفُرس.

لذلك فشعر الخمريات معروف في كُلّ زمان ومكان، مع اختلاف خصوصية كُلّ منهما و (تُطلق الخمريات على الأشعار التي تتناول عالم الشّراب، بدءاً بالخمرة و أوصافها، مروراً بأوانيها و رُجوعا إلى مواطنها و كرومها و وصفاً لمجالسها، وما تضُمُّهُ من سُقاة و نُدمان، وغناء ولهو وطرب، و تتبُّعاً لتأثيرها في النفس، ودبيبها في مفاصل الجسد وما يحصل منها من نشوة وخُيلاء، وما يجري في مجالسها من لطائف و طرائف...)[1]

يقول "ديك الجنّ" في هذا الباب :

وحمراء قبل المزج صفراء بعدهُ * بدت بين ثوبي نرجس وشقائق

حَكَتْ وجنة المعشوق صِرفاً فسلّطواْ * عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق [2]

فيصفُ شاعرنا الخمرة بين حالتين، الأولى وهي صِرف لم يُمازجها شيء وتكون حمراء اللّون، والثانية بعد المزج بالماء فتميل إلى اللّون الأصفر، و يُشبّهُها الشاعر هُنا بالعاشق والمعشوق؛ فلون وجنة المعشوق مورّدة تميل إلى الحَمَار، وهو لون الخمرة قبل المزج، أمّأ العاشق فيكون لونه أصفر نتيجة ما يُعانيه من لوعة الحُبّ و العشق، وما يُكابدُهُ من ألم البُعد عن الحبيب، ولون العاشق هُنا يُشبهُ لون الخمرة بعد المزج.

فديك الجنّ تناول موضوعي الخمرة و الحُب، و دمجَهُما فنياً باستعمال صورة شعرية بصرية، تجعل المُتلقّي بهذا المزج الرّائع بين الموضوعين يستخرج الرّابط بينهُما، وهُنا تظهر براعة الشاعر في إبداع التّشبيهات المُركّبة و التي تزيد من إيضاح المعاني و تُجلّيها.

1يوسف هادي بور نهزمي، دراسة نقدية في مبنى خمريات أبي نواس، مجلة إضاءات نقدية(فصلية مُحّكمة) السّنة الأولى العدد الثاني، حزيران2011م.

2أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص103.

و في بيتين آخرين يصفُ الخمرة، و ما تفعلهُ في جسم شاربها:

و كأس صهباء صرف ما سَرت بيدٍ * إلى فمٍ فدرى ما طعم ضـرّاء

كأنّ مشيـتها فــي جـسم شاربـها * تمشّيَ الصُّبح في أحشاء ظلماء [1]

فيقول رُبّ كأس خمرة لونُها أحمر صافية، إذا ما تناولها شاربها عرف شدّة تأثيرها وذاق طعمها، وهي تمشي في جسمه فتُعطيه حرارة و تُفتّح لونه كما يمشي نور الصّباح في الظُلمة ، فيُنيرها ويُدَفّئ الطّبيعة. والشّاعر يُواصل لُعبة تشبيهات الصُّور البصريّة التي يتميّز بانتقائها، وجعلها ماثلها في مُخيّلة المُتلقّي، عبر اختيار المُشبّه به المُناسب الذي يتوافق وطبيعة المُشبّه في وجه التشبيه، وغالباً ما تكون مشاهد لصور تلفِتُ النّظر ، ويسمتع الذوق في بمشاهدتها لتُصبح في الأخير المعاني واضحة جميلة يسهُلُ على السّامع تلقّيها و إدراكها.

وقال في مقطوعة أُخرى في الموضوع نفسه:

بـها غيـر مـعذول فـداو خمـارها * و صِلْ بعشيّات الغبُوق ابتكارها

ونلْ من عظيم الوزر كُلّ عظيمة * إذا ذُكرت خاف الحفيظان نارها

وقُم أنت واحثُثْ كأسها غير صاغر * ولا تسْقِ إلاّ خمرها و عُقارها

فقام تكاد الكأسُ تحرق كفّـهُ * من الشمس أو مِن وجنتيهِ استعارها

مُـورّدة مـن كـفّ ظبـي كـأنّــمـا * تنـاولـهـا مـن خـدّهِ فـأدارهــا

ظلَلْنـا بـأيـدينـا نُـتـعـتـعُ روحـها * و تأخُذُ من أقدامنا الرّاحُ ثارها [2]

1أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص27.

2المصدر السابق، ص67.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

وهذه المقطوعة من أشهر شعر ديك الجنّ في هذا الباب، وهي التي جاء "أبو نُواس" على ذكرها، حينما زار شاعرنا في بيته بحمص. وهي أبيات يدعو فيها إلى علاج صُداع الرأس الناجم عن الخمر، بزيادة شُرب الخمر مرة أخرى، فداو ما نتج عن الشُّرب الأول بالشُّرب الثاني، فليس لديك إلاّ هذا الدّواء، واستَمِرّ في شرابك من المساء إلى الصّباح. واقترف عظائم الذُّنوب حتى إذا ذُكرت هذه الذُّنوب يخشى الملكان الحفيظان(رقيب وعتيد) من نارها وشررها. ثُمّ يُوجّهُ الخطاب إلى السّاقي بأنْ يقوم بملءْ الكُؤوس وإدارتها غير مُهان، وألاّ يسقيهم إلاّ من الخمرة الجيّدة المُعتّقة. ثُمّ إنّ الساقي استجاب وقام ليسقيهم فبدت الكأس في كفّهِ مُلتهبة كأنّها نار، حتى تكاد تلسعُ كفّهُ فكأنّهُ استعار جذوتها و حرارتها من الشمس أو من خدّيه الأحمرين. وإنّ هذه الخمرة الممزوجة التي سقاهم بدَتْ مُشِعَّةً مُورّدةً، كأنّما عُصرت من خدِّه الأحمر الذي يُحاكي الورد. ثُمّ إنّهُم ظلُّواْ على هذه الحال من الشُّرب، ويأخُذون من الرّاح روحها فتنتقمُ هي منهم وتوهنُ قواهم حتى لا يستطيعون وقوفاً على أقدامهم.

نقل لنا ديك الجنّ في هذه الأبيات تصوير مجلس خمرٍ مُتّصِل المساء بالصّباح،وما يدورُ فيه و يصفُ لنا الخمرة ضارباً تشبيهات جميلة في تصويرها. ونرى أنّ الشاعر استعمل تعابير الأمر والنهي، وهي أساليب إنشائية استعملها في الثلاثة أبيات الأولى (فداوِ، وصِلْ، ونَلْ، وقُمْ، واحثُثْ، ولا تسقِ) وهي تعبيرات أمرية طلبية، أمّا الأبيات الثلاثة الأخيرة فاستعمل فيها الأساليب الخَبَريّة، وهي تتناسب وطبيعة ما أوردهُ الشاعر في الأبيات، حيثُ أخذَ في سرد أخبار وحوادث وقعت في ذلك المجلس. وقد أجاد ديك الجنّ وصف الخمرة و مجلسها و ما تفعلُهُ في شاربها، وأوانيها وساقيها وغير ذلك ممّا يتّصلُ بها حتى أنّهُ يُعدُّ من أرباب هذا الفنّ الذي يُعرفُ بشعر الخمريات، حيثُ يُعدُّ في طبقة أبي نُواس و أضرابِهِ.

ويقول في أبيات من قصيدة عن الخمرة:

واستلّ راحاً كبِيضٍ صادفت حجفاً * خلائـقاً أو كنـارٍ صادفت سعـفاً

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

صفراء أو قلّما اصفرت فأنت ترى * ذوباً من التِّبرِ رصُّواْ فوقهُ الشّرفا

فلم أزل من ثلاث واثنين و من * خمس وست وما ستعلى وما لطُفا

حتى توهّمتُ نوشروان لي خولاً * وخِلتُ أن نديمي عاشر الخُلفا [1]

فيبدأُ ديك الجنّ ذكر الخمر بتشبيهها عند سكبها في الكؤوس بلمعان السُّيوف على التُّروس عند وقوعها عليها في الحرب، أو هي كالنّار عندما تشُبُّ في جريد النخل اليابس، وإذا ما اصفرّت هذه الخمر بدت كذوبان الذّهب الوهّاج الذي يأخُذُ بالنّظر، ثُمّ إنّهُ لم يزلْ يشربُ كؤوسها مثنى وثُلاث و رُباع و خُماس و سُداس حتى ثمِل فصار يظُنُّ أنّ "كسرى أنوشروان" من عبيده وحاشيته، وأنّ نديمه في مجلس الشُّرب إنّما كان نديم الخلفاء.

وإذا ما قارنّا ديك الجنّ وشعره بغيره من الشُّعراء الفُحول في هذا المضمار، وجدنا شعرهُ راقياً رائقاً كشعرهم بل رُبّما نجدُهُ قد سبقهم إلى معانٍ ابتكرها ثُمّ درج الشّعراء على الإتيان بها، ورُبّما اشتهرواْ بها دونهُ، وهذا ما يدفعُ إلى التّساؤُلِ والاستغراب. (غير أنّ نصيب ديك الجنّ من الجديد أكبر وسهمُهُ من التّجديد أوفر.) [2] فقد كان ديك الجنّ فعلاً سابقاً لكثير من الصّيغ والأشكال والجواهر والمعاني، ولعلّنا نذكُرُ أمثلةً عن ذلك فيما سيأتي في هذه الدّراسة إذا اتّسع المقام(ومع ذلك فإنّ ديك الجنّ لا يفتأُ مُمْسكاً بزِمامِ فحولة القول، وجلال المعنى في مُختلف أبواب الشعر.) [3] فقد كان مُشاركاً في غالب أغراض الشّعر ومواضيعه، مع تميُّزه تميّزاً مُتفرّداً في بعضها، غير أنّهُ لا يُقصّر عن الآخرين في باقي الفُنون.

1انطوان القوّال، المصدر السابق، ص95.

2مصطفى الشّكعة، الشّعر و الشعراء في العصر العبّاسي، دار العلم للملايين، ط6، بيروت، لبنان، 1986م، ص586.

3المرجع السابق، ص587.

*سابعاً: الوصف :

يُعتبر الوصفُ من أشمل الأغراض الشعرية التي تندرج تحتها أغلب الأغراض الأُخرى، حيث يدخُلُ في معانيها ويشاركها فيها. فالرّثاء وصفٌ للميت و خِلاله، والهجاء وصف للمهجو وصفاته وأفعاله القبيحة، و الفخر وصف للنفس والقوم وأخلاقهم، والغزل وصف للحبيب و صفاته الخَلقيّة و الخُلُقيّة، والمدح وصف للممدوح و أفعاله، وهكذا مع باقي الأغراض الأخرى إلى ما ندر منها، فهذه الأغراض تُعتبرُ مواضيع بالنّسبة للغرض الأعم الأشمل وهو الوصف.(فالشّعر إلاّ أقلّه راجعٌ إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره و استقصائه.) [1] فالوصفُ إذن عمادُ أكثر الألوان الشّعرية، وهو أساسُها العُضوي الذي تنبني عليه، ولا يُمكنها أن توجد دون الاستناد عليه.

ولشاعرنا ديك الجنّ نصيب في هذا الفنّ، فنجد له مقطوعات وقصائد في وصف الطبيعة و الحيوانات، وهي بجودة ما مرّ بنا من شعره في الفنون الأخرى، يقول في وصف سحابة:

غرّاءُ جاءت و أفواهُ الثّرى يبسُ * لكنّها انصرفت والنُّورُ مُنغمسُ

تسري وللرّيح في حافاتها زجلٌ * يُريك ذهنك أنّ الرّزق ينـبجسُ

في مأتم للحيا ما انهلّ عارضُهُ * إلاّ وفيـه لأبكار الثّرى عُرسُ [2]

فنلاحظ كيف يصف ديك الجنّ هذه السحابة، وكيف يُصوّر مرورها على أرض يابسة لم تهطل بها مطر منذ مدة حتى يبست. فيُشبهُها بعطشان يفتح فاه من فرط العطش و الحاجة للماء، وهو تشبيه على سبيل الاستعارة المكنية، حيثُ أنّهُ لم يذكر المُشبّه صراحة لكن ذكر لازماً من لوازمه وهو الفم. وهو تشبيه يزيد المعنى وضوحاً و يُقرّبُهُ من ذهن

1ابن رشيق القيرواني، العُمدة، ج2،ص294.

2أنطوان القوّال، المصدر السّابق، ص84.

السامع. ثُمّ يذكُر أنّ لهذه السّحابة دويّ كدويّ الرعد، يخالُ سامعُهُ أنّ الخير يتفجّر منها في مأتمٍ للمطر ما بكى سحابه إلا كان لبواكير الزرع عُرس زاهٍ في الطبيعة. وفي البيت الأخير نلاحظ كيف يشبّهُ هطول المطر بالمأتم و كأن السحاب يبكي، وهو وجه الشبه بين نزول المطر و النزول بكاء الناس في المآتم. ويُكثرُ ديك الجنّ من استعمال مختلف أنواع التشبيهات في شعره، خاصة في الوصف وهو محاولة لتقريب المعنى و إيضاحه للمُتلقّي.

ويقولُ شاعرنا في قصيدة أخرى تجمع عدة مواضيع، من بينها وصف للديك:

أما ترى راهب الأسحار قد هتفا * وحثّ تغريدهُ لمّا علا الشّعَفَا

أوفى بصبغ أبي قابوس مفرقُهُ * كدُرّة التاج لمّا أنْ علا شرفا

مُشنّفٌ بعقيق فوق مذبحهِ * هل كُنتَ في غيرِ أُذْنٍ تعرف الشُّنُفا

لمّا أراحت رُعاة اللّيل عازبةً * من الكواكب كانت ترتعي السُّدُفا

هزّ اللِّواء على ماكان من سِنَةٍ * فارتجّ ثُمّ علا و اهتزّ ثُمّ هفا

ثُمّ استمرّ كما غنّى على طربٍ * مِرّيحُ شربٍ على تغريده وضفا

إذا استهلّ استهلّتْ فوقهُ خُصَلٌ * كالحيّ صيح فيه صباحاً فاختلفا [1]

فهذه المقطوعة في وصف الديك و ألوانه التي تميّزُ ريشه و حركاته و صياحه، فشبّه الديك بالراهب وهذا لكثرة تواجده ليلاً وحيداً، وخاصةً عند صياحه وكثرة استيقاظه، ثُمّ شبه لون عُرف الديك بلون شقائق النُّعمان(أبو قابوس)، وأنّ هذا الديك كدُرّة التاج عندما اعتلى مكاناً مُرتفعاً، ثُمّ إنّ الشاعر يُشبّهُ العلامة المُميّزة على مذبحه تحت عُنُقه بالقرط، لكن موضع القرط الأذن، فهل رأيت قرطاً على العُنُق قبل هذا؟ ثُمّ يُشبّهُ النجوم بالرُّعاة في البيت

1أنطوان القوّال، المصدر السابق، 94.

الرابع . ثُمّ يصفُ صياحهُ في الليل وقت النوم، وكيف يضربُ جناحيه عند ذلك كأنُّ شارب كأس كثير المرح يُغنّي وقت شُربه، حتى اقتراب الصباح.

ولديك الجنّ نماذج من الوصف في مواضيع مُختلفة، كوصف الخيل والطُيور والكلاب وقت الصيد وغيره، و كُلُّ هذه المواضيع في الوصف وتنوّعها يدُل على تمكُن الشاعر في مجال الوصف، وتحكُّمه في آليات التّشبيه والتّصوير. ونكتفي بذكر ما ذكرناه في هذا الباب خشية التطويل، فليس المُراد إلّا المِثال لا الحصر.

*ثامناً: الحكمة :

إنّ خير ما نختم بهِ مواضيع شعر ديك الجنّ، موضوع الحكمة. فحياة "ديك الجنّ" كانت حافلة بالأحداث الجسام التي تجعل من الإنسان يمتلك تجربة في الحياة، تصهرهُ في أتونها حتى تُخرج منه عُصارة الخبرة والتجربة الحياتيّة التي مرّ بها. وقد طال عُمرُ شاعرنا ما شاء اللهُ لهُ أن يعيش، حتى صار أهلاً بأنْ يصوغ هذه التجارب في شعر عن طريق قريحة الفنّان الفذّة، وموهبته الرّائعة بعد أن شكّلتها نفسه الحسّاسة، لتُخرج لنا هذه الحكمة كالخمرة المُعتّقة التي كُلّما مرّ عليها الزّمن ازدادت قيمة وجودة.

يقول ديك الجنّ في قصيدة لاميّة، تُذكّرُنا في بنائها و معانيها بالشّعر في العصر الجاهليّ:

احْلُ وامرُرْ وضُرّ وانفعْ ولِنْ * واخشُنْ ورِش وابرِ وانتدبْ للمعالي

واغِثْ واستغثْ بربّك في الأزْ * لِ إذا جلّحَتْ صُروف اللّيالي

لا تقِفْ للزمان في منزلِ الضَيْ * ـمِ ولا تستكِنْ لِرِقّةِ حال

وإذا خِفْتَ أن يُراهِقَكَ العُدمُ * فعُذْ بالمُثقّفات العوالي

وأهِنْ نفسك الكريمة للموت * وقحِّم بها على الأهوال

فلعمري لَلْموتُ أزينُ للحيّ * من الضُّرِّ ضارعاً للرجال

أيُّ ماء يدورُ في وجهك الحُرِّ * إذا ما امتهنتَهُ بالسُّؤالِ

ثُمَّ لا سيّما إذا عصف الدّهرُ * بأهل النّدى وأهل النّوال [1]

..... * .....

1أنطوان القوّال، المصدر نفسه، ص114.

الفصل الثاني : موضوعات و أغراض شعر ديك الجنّ

ففي هذه القصيدة التي تحتوي على اثنين و عشرين بيتاً، ينصح ديك الجنّ المستمع ويقدم لهُ كثيراً من غُررِ الحكمة؛ ليستفيد منها في حياته. فيُخبرهُ بأنّ عليه ألّا يثبت على حالٍ واحدة في هذه الحياة، فيكون حُلواً ومُرّاً، ضاراً ونافعاً، فقيراً وغنياً، شُجاعاً يُنجدُ المُستغيث، ومؤمناً يستعينُ بربّهِ في أيّام الضّيق و الشّدّة و الفقر. وألّا يقِفَ ذليلاً ضعيفاً أمام الظُلم، ولا يقنع و يستكنْ أمام الفقر. والقصيدة في مُجملها مجموعة من النّصائح و الحِكم يُسديها الشاعر للمُتلقّي، حتى يزيد من خبرتهِ في الحياة.

وامتازت القصيدة بوجود عدد كبير من أفعال الأمر، وهذا يتوافق مع طبيعة الموضوع فهو نُصح وإرشاد، ومحاولة لتبيين أفضل السُبُل للعيش في هذه الحياة. كما تحتوي على حشد كمٍّ من الطّباقات، خاصة في في البيت الأول والثاني، وهذا لإبراز الثُّنائيات والمتناقضات التي تملأ واقعهُ في الحياة، ومن شأن الطّباق أن يلفت نظر السامع ويجذبهُ، وهذا ماجعلهُ يحشدهُ بهذا الشّكل في بداية القصيدة، كما أنّه يُبرزُ المعنى ويؤكّدُهُ وهو من الجماليات الفنّية للطباق.

ويقول ديك الجنّ في الدّهرِ والناس:

يرْقُدُ النّاسُ آمنين و ريبُ * الدّهر يرعاهُم بمُقلة لصّ [1]

فيقول أنّ الناس يكونون في غفلة عن تقلُّبات الزمان، ويركنون لهُ ولِمَا هُم فيه من أمان، ولكن الدّهر لا يغفلُ عنهم و يرقبهم بعين كعين اللِّص، حتى إذا ما سنحت لهُ الفُرصة غدر بهم، وقلب أحوالهم رأساً على عقب. و شبّه الشاعرُ الدّهرَ باللّص لوجه الشبه بينهُما وهو التّرقُّبُ و تحيُّن الفرصة للإنقضاض في الوقت المُناسب.

ولديك الجنّ في شعر الحكمة نماذج أخرى لم نأتِ على ذكرها خشية التّطويل، وقد حُقّ له قول الحكمة لغنى تجاربه في الحياة، وسبر غوره من نوائب الدّهر والزمان.

1أنطوان القوّال، المصدر السابق، ص90.

الخـــاتـمـــــة

الخاتمة :

في نهاية هذه الدراسة التي تناولت حياة وشعر "ديك الجنّ الحمصي"، ننتهي إلى استخلاص بعض النّتائج والاستنباطات المُتعلّقة بطبيعة حياته، و خصائص شعره وفنّه، أهمها:

- أن ديك الجنّ كان شاعراً مبتعداً عن الخُلفاء العبآسيين وقصورهم، لم يقصد يوماً واحداً منهم، أو مدحه في شعره، بل كان ناقماً على السُّلطة العبآسية وخلفائها.
- أنّ ديك الجنّ مرّ في حياته بمآسيَ و أحداثَ أليمة، أثّرت في مسار حياته بشكل كبير، ممّا انعكس على شعره. ولعلّ أكبر هذه المآسي قتله زوجته "ورد"، ثُمّ ندمه بعد ذلك عندما عرف الحقيقة.
- الكثير ممّا ورد في شعره من أحداث و أفكار، قد تبدو في ظاهرها مُنكرة ولا تتّسق مع الدّين والأخلاق، إنّما هي ناتجة عن تبنّيه لنزعة تمرُّديّة تُعاكس ما في المُجتمع من قيم مرفوضة، كالرّياء و النفاق، وهي لا تُعبّرُ بالضرورة عن رأيه الحقيقي.
- يُعتبرُ ديك الجنّ وغيره ممّن كان ينهجُ نهجهُ في الشعر والحياة، من زُمرة شُعراء كانواْ يصفون أنفُسهم في الشعر بضدّ ما هُم عليه في الواقع في بعض أشعارهم، خاصة في شعر الخمرة والغزل الماجن. وقد عرف و فَطِن إلى هذا جماعة من كبار الأعلام والنُّقاد القُدامى، كابن المُعتز و الثّعالبي وغيرهما. لكن هذه الرؤية قد اختفت عند نُقّاد وقتنا الحالي، وصارت نظرة سطحية لا تلِج إلى بواطن النُّصوص و القضايا، بل أصبحت أشبه بمُحاكمة للنّص وصاحبه في محاولة لإدانته بغير وجه حق.
- الحاجة إلى إعادة قراءةٍ وتأويلٍ للنصوص الشعرية القديمة، وللتّراث الأدبي و الفكري لأُمّتنا بشكل عام عن طريق ما أُتيح من مناهج نقدية حديثة، لأجل إنصاف الكثير من الأعلام الذين أُدينواْ تاريخياً، والاستفادة من هذا التُّراث.

الخـــاتـمـــــة

- إنّ ديك الجنّ قد نضم في أغلب الأغراض الشعرية، والمواضيع الفنّية المُمكنة، وهذا بفعل موهبته وقريحته الفذّة المُميزة، التي أهّلتهُ لصياغة أشعاره بشكل مُتفرّد جعلها في مُستوى عالٍ بعُمومها. حيث ساهمت الأحداث التي تعرّض لها في تنوع المواضيع و صدق ما فيها من تجارب.
- يرجع السبب الرّئيسي في تراجع شهرة ديك الجنّ و خمولها، لكونه كان مُعارضاً للسُّلطة العباسية، موالياً لأعدائهم من الشّيعة، وهو ما جعل النُّقاد و الدّارسين يزهدون مع الوقت في الاهتمام بشعره، مخافة التّعرض للمُضايقة من السلطة، ثُمّ استمرّ هذا التّقليد من العُزوف عنه وعن شعره إلى وقتنا هذا.
- حاول ديك الجنّ أن يحيط نفسه بهالة من المجون والخلاعة، حتى لا تنظر السّلطة له على أنّه مُعارضٌ جادٌّ يستطيع جمع النّاس حوله، وتشكيل خطر عليها، وبالتالي تصفيته حينئذٍ. لكنّ هذه الخطوة من الشاعر انعكست سلباً على شعره وشهرته بعد ذلك، فأغلب الناس ينفرون من الخلاعة والمجون في العلن، لكنهم في السّرّ يستحلونها، فكُلٌّ ممنوع مرغوب.
- مقام ديك الجنّ بين شعراء عصره كان رفيعاً، وشعره قد سبقه إلى الأمصار و الآفاق لجودته و رِفعة مُستواه، رغم كونه لم يُبارح الشّام أبدا، ولم يسعَ إلى قصور الخُلفاء و الوُلّاة لأجل التّكسُّب والمدح.
- يزخر شعر ديك الجنّ بالتّناص الديني مع القُرآن الكريم والسُّنَّة النّبوية، وقد استعمل هذا في أغلب الأحيان لأجل التّدليل على حقّ أهل البيت في الخلافة، وإظهار مآثرهم و فضائلهم في قِبال أعدائهم.
- يتميّز شعره باستعمال صور شعرية بصرية و سمعية رائعة، و تشبيهات بلاغية جميلة، وكُلُّ هذا للزيادة في إيضاح المعاني و تقريبها من ذهن المُتَلَقّي و تأكيدها.

الخـــاتـمـــــة

في الختام لا ندّعي أنّنا أحطنا بكامل أطراف هذا الموضوع، بل من المُستحيل أنْ نكون قد استوفيناه حقّه في الدراسة، وهو في الحقيقة موضوع يُعتبر حقلاً خصباً للبحث و الاستقصاء. ونسأل المولى التوفيق والسّداد في الأمور كُلّها، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر و المراجع

*المصادر:

القرآن الكريم

1. أنطوان محسن القوال، ديوان ديك الجن الحمصي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2004م.
2. مظهر رشيد الحجي، ديوان ديك الجن الحمصي عبد السلام بن رغبان، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004م.

*المراجع:

1. إبراهيم النّجّار، شعراء عبّاسيُّون منسيّون، مسالك الرّثاء والتفجّع، القسم الثاني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان.
2. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1978م.
3. ابن رشيق القيرواني، العُمدة، تح محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، لبنان، 1981م.
4. ابن عساكر، تاريخ دمشق، تح سكينة الشهابي، مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، 1992م.
5. ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، معهد تاريخ العلوم الإسلامية، جامعة فرانكفورت، 1988م.
6. ابن منظور، لسان العرب، نسّق وعلّق عليه:علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 1908م.
7. أبو العلاء المعري، رسالة الغُفران، تح عائشة عبد الرحمان، دار المعارف، ط6، مصر، 1977م.

قائمة المصادر و المراجع

8. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، مطبعة دار الكتب، القاهرة، مصر.
9. أحمد أبو حاقة، فن المديح و تطوّره في الشّعر العربي، دار الشّروق الجديدة، بيروت، لبنان، 1962م.
10. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ط12، 1338هـ.
11. أحمد بن الحُسين الزّوزني، شرح المُعلّقات السّبع، 2013م.
12. بهاء الدين العاملي، الكشكول، تح أحمد الزاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1961م.
13. الجاحظ، البيان و التّبيين، تح عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف و التّرجمة والنّشر، ط2، القاهرة، مصر، 1991م
14. حامد صادق قنيبي وسامي أبو زيد، محاضرات في الأدب العباسي(الشعر)دراسة ونصوص، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع،عمان الأردن،2006م.
15. حسن جعفر نور الدين، ديك الجنّ الحمصي عبد السلام بن رغبان، عصره و حياته و فنونه الشعرية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، لبنان، 1990م.
16. داوود الأنطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العُشاق، دار حمد و محيو، ط1، بيروت، لبنان، 1972م.
17. سراج الدين محمد، الفخر في الشّعر العربي، دار الرّاتب الجامعية، بيروت، لبنان.
18. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط8، القاهرة.
19. ضياء الدين بن الأثير، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تح نوري القيسي وحاتم الضامن و هلال ناجي، جامعة الموصل، العراق 1982م.
20. عبد الرحمن الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، 1965م.
21. عبد الغني أيرواني زاده وجمال طالبي، دراسات في الهجاء الإسلامي، مجمع الذّخائر الإسلامي، قُم، إيران، 2015م.

22. عبد الله بن المُعتز، فصول التماثيل، تح جورج قنازع و فهد أبو خضرة، مجمّع اللغة العربية، دمشق، سوريا، 1989م.
23. عبد الهادي عبد النبي، اتجاهات الرِّثاء وتطوره في العصر العباسي الأول، ط1، مصر، 1990م.
24. علي ديب، الأديب و المُفكّر أبو حيان التوحيدي، الدار العربية للكتاب، ط2، ليبيا–تونس، 1980م.
25. قُدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكُتُب العلمية، بيروت، لبنان.
26. كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، المكتبة الإسلامية، بيروت، لُبنان.
27. محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، ط1، الإسكندرية، 2001م.
28. محمد محمد حُسين، الهجاء والهجّاؤون في الجاهلية، دار النهظة العربية، ط3، بيروت، لبنان، 1970م.
29. مصطفى الشّكعة، الشّعر و الشعراء في العصر العبّاسي، دار العلم للملايين، ط6، بيروت، لبنان، 1986م.
30. مظهر رشيد الحجي، ديك الجن الحمصي، دار طلاس، دمشق سوريا، 1979م.

*المجلات و الدّوريات

01. يوسف هادي بور نهزمي، دراسة نقدية في مبنى خمريات أبي نواس، مجلة إضاءات نقدية (فصلية مُحّكمة) السّنة الأولى العدد الثاني، حزيران2011م.

الملخص :

يتناول هذا البحث، دراسة حياة علَم من أعلام الشعر العربي القديم، في العصر العباسي الأول، وهو "أبو محمد عبد السلام بن رغبان"، المُلقب "ديك الجن الحمصي".

حيث يَعْرِض إلى مُختلف جوانب حياته، والمآسي التي تعرّض لها و انعكاسها على شعره. ثم يتعرض إلى مُختلف الموضوعات والأغراض الشعرية التي تناولها ونظم فيها أشعاره، وما تميز فيه من فنون شعرية. في مُحاولة لإعادة قراءة النّص، وإنتاج أحكام جديدة لهذه النصوص الشعرية.

الكلمات المفتاحية :

المأساة، الموضوع، التلقّي.

Summary :

This study deals with the study of the life of a person of the ancient Arabian poetry in the first Abbasid period, namely Abu Muhammad Abdulsalam Bin Ragheban, nicknamed "Dick el Jinn Al-Humsi".

Where he presents to various aspects of his life, and the tragedies that are exposed to the reflection on his poetry. And then exposed to various topics and poetic purposes, which addressed and

include poetry, and the distinctive arts of poetry. In an attempt to re-read the text, the production of new provisions for these poetic texts.

key words :

Tragedy, theme, receive.

Sommaire :

Cette étude porte sur l'étude de la vie d'un personne de l'ancienne poésie arabe dans la première période abbasside, à savoir Abou Muhammad Abdulsalam Bin Ragheban, surnommé "Dick el Jinn Al-Humsi".

Où il présente à divers aspects de sa vie, et les tragédies qui sont exposées à la réflexion sur ses poésie. Et puis exposé à divers sujets et des fins poétiques, qui traitent et incluent la poésie, et les arts distinctifs de la poésie. Dans une tentative de relire le texte, la production de nouvelles dispositions pour ces textes poétiques.

Les mots clés :

Tragédie, thème, recevoir.